العالَــم الإسلامــي
بين ماضٍ مجيد، وحاضر عتيد،
ومُستقبل بهيج

دراسة من إعداد

أ.د/عطية عبد الحليم صقر

أستاذ المالية العامة في جامعات
الأزهر، وأم القرى، والجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة (سابقًا)

الموقع الإلكتروني www.profattiasakr.net
البريد الإلكتروني m_attia_sakr@yaho.com

تمهيـد
سُنَّة الله في بناء، وفي زوال الحضارات

للأمم في مصـــائرها أعمارٌ وآجالٌ، قد تطول وقد تقصـــر، وفق أقدار يمكن معرفة بعضها ولا يمكن معرفة بعضها الآخر، فقد تبقى أمة من الأمم حتى تثير الأرض وتعمرّها وتترك فوقها آثارَ حضـــارةٍ زاخرة، وقد يعجّل الله حياة أمّة وهي في طور قيامها، فما تظهر حتى تختفي، وقد تواتيها قوى الشباب فتملأ الدنيا عرَامًا واضطرامًا، وقد تعتل فتضطرب مسيرتها بعد استقامة، وقد تنتحر بمسلك طائش ينكس راياتها فجأة، وقد تحيا شيخوخة واهنة، تطبع شـأنها العام بالعجز والاسـترخاء، على أنه لن تهلك أمة حتى تسـتوفي أجلها الذي قدَّره الله لها.

على أن الأمة إذا اسـتجمعت في أي مرحلة من مراحل حياتها قبل مرحلة هلاكها إذا اسـتجمعت عناصـر الخلود، ووفرت لبنيها خصـائص الحياة، وتحرّت عافيتها في شـئونها الخاصـة والعامة، ونهض أبناؤها كَبَواكير الروض جِدَّةً وتألّقًا تطفر الحياة مع وثباتهم، وتتجدد مع آمالهم، وتتقدَّم مع أعمالهم، يطول بقاؤها في الأرض، ويصـبح وهَنها عرضًـا قد شـفيت منه، وينبت على أنقاض سـلفها خلف جديد تلاحقه جهود المصلحين بالتربية والتهذيب.

والبحث الماثل يتمثل الأمة الإسـلامية في هذا النموذج الأخير من الأمم التي تنهض من بعد كَبْوة، وتثب من بعد عَثْرة.

وقد عالج البحث الماثل موضوعه من خلال مقدمة وثلاثة فصول، ناقش فيها كمًّا وافرًا من المسائل والقضايا التي بدأها بالحديث عن حركة الحياة في المجتمع الإسلامي عبر العصور، وتطور منظومة حركة الحياة في المجتمع الإسلامي في مراحل ما بعد عصر الخلافة الراشدة، ثم تصدّى لدراسة واقع العالم الإسلامي في العصر الحاضر من خلال دراسـة حركة الحياة في المجتمعات الإسـلامية المعاصـر وركائز التغيير الرئيسـية لهذا الواقع، ثم اسـتعرض البحث العوائق الذاتية والخارجية أمام تطور العالم الإسـلامي

وسُــبُل الخلاص منها، ثم تناول بالتحليل والمناقشــة عددًا من آليات ووســائل وأدوات التغيير والانطلاق إلى عالم إسلامي متحضر.

وإن الباحث إذ يقدِّم هذا البحث عن التوقعات المســتقبلية للعالم الإســلامي المعاصر ليَحْدُوه الأمل والرجاء أن يرى سمات الحياة الدافقة تصبغ الأرض الإسلامية فتهتزّ بأجيال جديدة، وتفتح العين على أهلها، فإذا هم يركضــون في ســباق الحضــارة والابتكار والإجادة والصــراع، فإن الأمم التي تجمد تموت، لكن تجديد الشــباب لدى الأمم الكبيرة عمل ميسّر لأولي العزم من المصلحين والزعماء.

مقدمـة

حركة الحياة في المجتمع الإسلامي عبر العصور

لقد كانت وما زالت حركة الحياة في المجتمع الإسلامي تفرض نفسها على الحياة الإسلامية منذ عهد رسول الله ﷺ وإلى عصر الاحتلال الأوروبي لبلاد المسلمين بعد زوال دولة الخلافة العثمانية التركية، وآية ذلك ما يلي:

١- كان في مقدور وحي السماء أن يحدد لرسول الله موضع نزول جيش المسلمين في غزوة بدر الكبرى، إلَّا أنه ترك ذلك عن عمد، وكانت حكمته في ذلك هي: تدريب المسلمين وتعويدهم على حرية الرأي والأخذ بمبدأ الشورى فيما بينهم وذلك بعد أن زرعت العقيدة الإسلامية في المسلم التحرر من العبودية للبشر، وقد تجلّى هذا المبدأ كذلك في رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن أسرى غزوة بدر، ونزول القرآن الكريم مؤيدًا لرأي عمر بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

٢- بتوجيه كريم من الوحي أخذ رسول الله ﷺ وتحت إشرافه حال حياته يدرِّب الصحابة على الاجتهاد وعلى حرية الرأي والأخذ بمبدأ الشورى فيما لم ينزل به وحي من السماء، دون تعصّب للرأي، ودون أن يزعم أحد بأنه وحده الذي يملك مفاتيح المعارف والحقائق وحده؛ ولذلك فقد أقرّ الفقه الإسلامي الإجماع كدليل شرعي لاستنباط الأحكام الشرعية المُلزمة للكافة، ولقد كان المشرِّع الإسلامي الحكيم يهدف من وراء هذا السلوك الراقي في التربية إلى:

أ- إعلاء قيمة التفكير العقلي الرشيد.

ب- إعلاء العمل بمبدأ الشورى ونبذ الانفرادية في الفكر واتخاذ القرارات العامة وشخصنة الأمور العامة.

جـ- بناء إدراك المسلمين لهويتهم المتميّزة وإيمانهم بعقيدة سماوية تفرض عليهم أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، تقدُّمًا ونموًا على المستوى

الإيماني والأخلاقي والأكثر تقدمًا على المستوى العلمي والاقتصادي والعسكري في كل عصر.

د- إيجاد مرجعية فكرية إسلامية تحكم نشاط الدولة ونشاط الأفراد وتحدد غايات هذا النشاط، وتجذب غير المسلمين إلى الإسلام وتطلق العنان للفكر الخلَّاق.

هـ- إعلاء مكانة اللغة العربية باعتبارها جزءًا من هوية الأمة، ولسانًا لوحي السماء ولرسول الله ﷺ، وللرباط الوثيق بينها وبين القرآن والسُّنَّة والتراث الإسلامي وأداء العبادات.

و- بناء منظومة قيم إسلامية دينية ومادية وأخلاقية تحقق التوافق والتوازن بين الثوابت الإسلامية والمتغيرات الحياتية المتجددة، وتطهر المجتمع من الآفات الأخلاقية والنفسية والاجتماعية، وتكفل تحقيق التقدُّم العلمي والتقني والاقتصادي.

ز- المحافظة على الطبقة الوسطى والدنيا داخل المجتمع الإسلامي، باعتبار الطبقة الدنيا طبقة عاملة منتجة، وباعتبار الطبقة الوسطى طبقة الانطلاق بالمجتمع نحو الإبداع والتقدُّم والرقي في كافة المجالات.

ح- درء المشكلات التي تعترض حياة الأقليات غير المسلمة التي تعيش داخل المجتمع الإسلامي، وعدم إكراهها على اعتناق الإسلام أو التضييق عليها في ممارسة شعائر دينها وأحوالها الشخصية.

ط- تحريم ونبذ الابتداع في الدين بالزيادة أو بالنقصان، بالتكميل أو بالتعديل حتى ولو كان ذلك بنيّة العبادة لله، وجعل الخير كله في الوقوف عند ما جاء به الشرع فقط، فإن من أحدَث في الإسلام ما ليس منه فهو رَدّ، وإن كل محدثة لا أصل لها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فلقد سارت حركة الحياة في المجتمع الإسلامي في العصرين النبوي وبعد الراشدين على منهاج هذه المبادئ الإسلامية السالفة الذكر، التي أعلت من إنسانية

الإنسان، والتي توجّه الخطاب فيها إلى خير ما في الإنسان من طبائع وصفات وملكات وكفايات.

وعلى أيدي صحابة رسول الله الذين اقتدوا به، وتربّوا في مدرسته، جاءت الفتوحات الإسلامية التي لم تكن غزوات من أجل الظلم والعدوان أو من أجل القهر والغَلَبة والسلطان وفرض عقيدة الإسلام على المخالفين بحد السيف، وإنما جاءت من أجل نشر المعرفة والهداية والرحمة وإعلاء موازين الحق والعدل والتسامح والمحبّة وقبول واحترام الآخر، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

تطور منظومة حركة الحياة في المجتمع الإسلامي بعد عصر الخلافة الراشدة:

على أيدي صحابة رسول الله الذين اقتدوا وتأسّوا به في حياته، تربّى تلاميذهم من التابعين ثم من جاء بعدهم من تابعي التابعين، وخلال هذه الفترة الزمنية تطور الإسلام فيما لا يتصل بأصول عقيدته وشريعته، ثم نشأت المذاهب الفقهية التي قادت الإسلام إلى الصمود في وجه الثقافتين الرومانية والفارسية؛ حيث كانت الغلبة للثقافة الإسلامية على يد رجال أقوياء نقلوا تعاليم الإسلام من واقعها النظري الافتراضي، إلى واقع الحياة العملي، ونقلوا الثقافة الإسلامية إلى مرحلة الجمع والتوفيق بين أمور الدنيا وأمور الآخرة؛ لأن الدنيا والآخرة في نظر الإسلام مرحلتان من مراحل الحياة المتصلة المتكاملة للإنسان؛ حيث تمثل المرحلة الأولى له مرحلة السعي والعمل، وتمثل المرحلة الثانية مرحلة الحساب والجزاء.

وبهذه الحركة الدءوب المثمرة للمجتمع الإسلامي، كان الإسلام قادرًا على مقاومة المؤثرات والعوائق والتقلبات الخارجية التي اعترضت طريقه على اختلاف الزمان والمكان، وكان المجتمع المسلم وقت أن كان يتمتّع بهذه الحركة، ووقت أن كان المسلمون يعملون بالأسس والمبادئ والقواعد الإسلامية السالفة الذكر، كان المجتمع بأفراده قادرون على مقاومة هذه المؤثرات والعوائق والتقلُّبات الخارجية التي اعترضت طريق دولهم وأوطانهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه وبقوة في عصرنا وزماننا هو: هل نحن قادرون الآن على مقاومة رياح وعواصف العولمة بأبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والعلمية الدولية، وهل نحن الآن قادرون على العيش والحياة والتكيُّف مع النظام العالمي الجديد الذي تشكَّل تحت تأثير أربعة ثورات أساسية هي:

١- الثورة الديمقراطية التي تتبنى اقتصاديات السوق وتحرير التجارة العالمية.

٢- الثورة العلمية والتكنولوجية في موجتها الثالثة والرابعة والتي تعتمد على المعلوماتية والإلكترونيات الدقيقة، والفوتونات الضوئية الدقيقة والطاقة النووية والفضاء والمواد الجديدة والهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي.

٣- ثورة التكتلات الاقتصادية والسياسية العملاقة والشركات متعددة الجنسيات وعالمية النشاط وتعدُّد الأقطار.

٤- ثورة تحرير التجارة الدولية تحت مظلّة منظمة التجارة العالمية.

وهذه الثورات جميعها قد أوجدت أمامنا عالمًا مذهلًا لم يسبق له نظير على مر التاريخ، إنه عالم مذهل في حجم المعارف الجديدة التي تُضاف إلى العلم التجريبي في كل لحظة على مدار ساعات الليل والنهار، إنه عالم مذهل في حجم المعلومات التي تتضاعف كل عام في أغلب ميادين البحث العلمي، إنه عالم مذهل في التزايد المتسارع والمستمر في أعداد العلماء في شتى مجالات العلم، إنه عالم مذهل في عدد الاختراعات الجديدة التي تتزايد مع تضاعف الأبحاث العلمية، إنه عالم مذهل في قدراته الإنتاجية الهائلة وفي تطوير وسائل الإنتاج، إنه عالم مذهل لا مكان فيه إلَّا للأقوياء الذين يملكون مفاتيح القدرة التنافسية مع غيرهم.

فهل نحن العرب والمسلمون قادرون على البقاء والمنافسة في هذا العالم المذهل ونقول: نعم إننا قادرون لأننا نملك آليات تغيير أنفسنا، وأدوات إزالة العوائق الذاتية من طريقنا، ولكن بشرط جوهري هو: ألا ننعزل عن غيرنا من المجتمعات المتقدِّمة، وأن تقتبس منها كل جديد في مجالات العلوم والتقنية ونوطّنه في بلادنا، وأن ننتفع بما لديها من معارف وخبرات ومهارات، ونغض الطرف عن كل مفسد للعقول والأخلاق يمكن

أن يلحق الضرر بكياننا المادي أو المعنوي، على أن نحافظ على ثقافتنا وهويتنا وانتمائنا لأوطاننا ولا نذوب في المجتمعات المتقدِّمة أو نتبع أهواءها، أو نتشبّه بها فيما هو من خصائصها الذاتية ومن مباحات ثقافتها وأعرافها، وعلى أن نعمل بكل إخلاص على عدم الاقتصار على النقل والحفظ، بل نتجاوز ذلك إلى الابتكار والتجديد والاختراع والاكتشاف، والانتقال بحضارتنا الإسلامية من مواقع الانحدار والتأخُّر، إلى مواقع الريادة والازدهار.

وهذا ما سوف نبحثه ونراه في فصول ومباحث هذا البحث إن شاء الله، والذي سوف نقسِّمه إلى ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: دراسة في واقع العالم الإسلامي. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حركة الحياة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدين والتديُّن في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

المطلب الثاني: اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة.

المطلب الثالث: التنوير الزائف.

المبحث الثاني: ركائز التغيير من واقع العالم الإسلامي المعاصر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التجاوب مع المتغيِّرات الدولية.

المطلب الثاني: التنمية البشرية والتكنولوجية.

المطلب الثالث: الانضباط.

الفصل الثاني: العوائق الذاتية والخارجية أمام تطور العالم الإسلامي وسُبُل الخلاص منها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العوائق الذاتية وسُبُل الخلاص منها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنشئة الاجتماعية الخاطئة للشباب.

المطلب الثاني: ضعف الاستثمار في البشر.

المطلب الثالث: التعصُّب والتطرف والانغلاق الفكري والثقافي والسلوكي.

المبحث الثاني: العوائق الخارجية وسُبُل الخلاص منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الغزو الثقافي الأجنبي.

المطلب الثاني: مخططات الهيمنة الخارجية وازدواجية المعايير الدولية.

الفصل الثالث: وسائل التغيير والانطلاق إلى عالَم إسلامي متحضِّر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تجديد الفكر الإسلامي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مخاطر الجمود الفكري والتقليد غير المستنير.

المطلب الثاني: ثوابت الهوية الإسلامية.

المطلب الثالث: أساليب ومجالات تجديد الفكر.

المبحث الثاني: الوفاء للدين والتراث واللغة والهوية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مستقبل المسلمين رهن للوفاء للدين.

المطلب الثاني: أثر تراث الأمة في بعث نهضتها.

المطلب الثالث: التطور الإسلامي بين التراث والحداثة.

المبحث الثالث: الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نبذ الغزو السلوكي الغربي.

المطلب الثاني: تنمية الحصانة الفكرية والرشد الأخلاقي.

المطلب الثالث: إحياء قيمة العلم.

الخاتمة: وتحتوي على ملخص البحث وأهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول:
دراسة في واقع العالم الإسلامي

المبحث الأول:
حركة الحياة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

المطلب الأول:
الدين والتديُّن في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

تعريف الدين لغة:

تقول العرب: دَانَ دينًا: خضع وذلّ وأطاع، ودان بكذا: اتخذه دينًا وتعبَّد به، وتديَّن بعقيدة: دان بها، والدين: اسم لجميع ما يتديَّن به، والدين: المِلَّة. والجمع أديان[1].

تعريف الدين في اصطلاح الفقهاء:

يطلق الدين عند الفقهاء على الشرع والملَّة، فإن الأحكام التي سنَّها الله لعباده على لسان رسوله، من حيث لزوم طاعتها تعتبر دينًا، ومن حيث إنها تملي وتكتب تعتبر مِلَّة، ومن حيث إنها مشروع تعدّ شرعًا، فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات[2].

إلَّا أنَّ الشريعة والمِلَّة تضافان إلى رسول الله ﷺ ثبوتًا؛ فيقال: الشريعة والمِلَّة التي جاء به محمد من عِند الله، كما تضافان إلى الأمة الإسلامية استعمالًا؛ فيقال: شريعة المسلمين ومِلَّة المسلمين، أما الدين فإنه لا يضاف إلَّا إلى الله تعالى.

وقد اشتهر استعمال الإسلام بمعنى الدين الذي بعث به نبينا محمد ﷺ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٤١، مادة (دان).

(٢) أ.د/ بدران أبو العنين: تاريخ الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٢.

إطلاقات الدين:

يُطلق الدين في اللغة العربية على معانٍ كثيرة منها: العادة، السيرة، الحساب والقهر، والقضاء، والحكم، والطاعة، والحال، والجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]؛ أي: يوم الحساب والقضاء والجزاء، ومنه أيضًا قولنا: «كما تدين تُدان»؛ أي: كما تحاسِب غيرك أو تقهره أو تحكم عليه أو تجازيه، تُدان بنفس الأساليب، والدين من أسماء الأضداد؛ فيقال: دان بمعنى عصى وأطاع، وبمعنى ذلّ وعزّ.

أما عن إطلاقاته في الشرع فهو يطلق ويُراد به الملّة وقد يختص بالإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقيل: إن الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى: الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويضاف الدين إلى الله تعالى لصدوره عنه، وقد يضاف إلى النبي لظهوره على يديه، وقد يضاف إلى الأمة لتدينهم وانقيادهم[1].

كذلك يطلق الدين على العقائد الأصلية، والأسس والمبادئ التي اتفقت عليها الشرائع الإسلامية كلها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، أما الديانة فهي: التنزّه، وما بين العبد وبين ربه، فالقاضي في أي نزاع يعرض أمامه يحكم بحسب الظاهر، أما ما بين المحكوم له وبين الله تعالى فلا شأن للقاضي به، وللمحكوم له تنفيذ الحكم قضاءً لا ديانة.

التدين المريض في المجتمعات الإسلامية:

نحن لا نغالي إذا قلنا: إن الدين والتدين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة قاطبة قد أصابهما المرض والهزال، ومن المسلَّم به أن التدين المريض إذا تسلَّط صنع المآثم، وإذا تعصَّب عَمِيَ عن القيم كلها، ولم يعترف لخصومه بحمى يأوون إليه في شدائدهم.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون المشهور بموسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، للتهانوي، ج٥، ص١١٥٨، طبعة بيروت، ١٩٦٦م.

وعلى مدار التاريخ الإسلامي كله، لم تعاني الأمة الإسلامية ما تعانيه اليوم من قتل للأبرياء وسفك دماء للمستضعفين من الأطفال والنساء، على يد جماعات إرهابية همجية، تدّعي كذبًا وبُهتانًا أنها تنتمي للأصولية الإسلامية أو للسلفية الأولى، وما درت أنها بأفعالها الآثمة قد أشعلت أحقاد العالم غير المسلم على الإسلام، وأوغرت صدره ضد هذا الدين النقيّ الطيب، والذي كشف عن حقده وغضبه بما شرعه من قوانين وبما استصدره من قرارات دولية لا لتعاقب بها المسلمين كأفراد، بل لتنكر وجودهم الإنساني كجماعات ودول حتى أصبح الإسلام طريدًا للقانون الدولي في المحافل الدولية.

الإلحاد البغيض في المجتمعات الإسلامية المعاصرة[1]:

لقد أفلح الغزو الثقافي الأجنبي للمجتمعات الإسلامية في تكوين جيل جديد من المنتمين بالاسم والعنوان إلى المسلمين، جيل يستحي من الانتساب للإسلام ويكره أن يُرى وهو يقوم بشيء من شعائره، جيل استشرت لديه الجرأة على الإسلام جُملةً وتفصيلًا، فهذا ينكر أصل الإيمان، وهذا يماري في حقيقة النبوات وإمكان نزول الوحي، وهذا يُطالب بإحراق التراث العلمي الإسلامي، وهذا يحرق المصحف الشريف، وهذا يتساءل لم تحرم الخمر مع فائدتها للصحة، وهذا يرى الزنى بتراضي الطرفين حلال، وهذا يسخر من تحريم الربا وأكل الخنزير، وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للوقت ومشغلة عن أداء الواجبات، وهذا يستنكف الإيمان باليوم الآخر والملائكة والنبيين ويعتبر الحديث عن الغيبيات جهالة ورجعية، وهذا يدعو إلى الانخلاع عن التاريخ والقيم والثوابت الإسلامية، وهذا لا يفكر البتّة في تلاوة القرآن، ولا يخطر بباله الرجوع إلى سنة سيد الأنام، وهذا يجتهد في إبعاد أولاده عن تعاليم الإسلام، ويختار لهم أسماء أوروبية، وهذا يسخر من اللغة العربية، وهذا يخلط في كلامه بين العربية والإنجليزية، وهذا لا يعرف أبناؤه كتابة أسمائهم باللغة العربية.

(١) الشيخ الداعية محمد الغزالي، كفاح دين، دار القلم، دمشق، ١٤٢٤هـ، ص١٢٦ وما بعدها.

إن وطأة الغزو الثقافي في أجيال المسلمين المعاصرة ثقيلة أشد الثِقَل وإنه لظلم عظيم أن يفهموا الإسلام بهذا الفهم، وإنها لخيانة كبرى أن يُنزلوا الإسلام في حياتهم هذه المنزلة.

احتواء الإسلام على كل مراتب الكمال والرقي الإنساني:

إذا كان المقياس المقبول لدى متفرنجوا العصر للرقيّ الإنساني الذي بلغته القارة الأوروبية هو فيما بلغه الأوروبيون من قبول للآخَر وحُبّ وتسامح فيما بينهم وبين بعضهم فقط، وفيما وصلوا إليه من رقّة الحسّ ورفاهية الوجدان وذكاء العقل، وما بلغته المجتمعات الأوروبية من منزلة عالية في هذه الصفات.

وإذا كان غاية طُلَّاب الكمال من المسلمين أن ينالوا حظًّا من هذه الصفات حتى يجدوا أنفسهم أمام أعينهم وأعين الآخرين أنهم شيء في عالم التمدّن والرقيّ.

فنحن نقول: إذا كان الأمر كذلك فإن في أدب الإسلام وتوجيهاته، وفي سلوك المسلمين الملتزمين بأحكامه وآدابه مناهج دقيقة محكمة لمراسم الذوق الرفيع والحسّ المرهف، والوعي اليقظ، والضمير الحيّ.

فما ترك الإسلام خُلُقًا يتجمّل به الإنسان ويبلغ به مراتب الكمال في عقله وسلوكه، إلَّا كان هذا الخُلُق من صميم دعوته ونهج تعاليمه.

وإذا كان هناك عيب أو قصور في الوصول بمسلمي العصر الحاضر إلى مراتب الكمال والرقيّ الإنساني الذي وصل إليه الإنسان الأوروبي، فإن العيب والقصور إنما يكمنان في أن مسلم العصر الحاضر إما جاهل بدينه وإمَّا مقصِّر في الالتزام بآداب دينه، وإمَّا مُفرِّق بين آداب دينه، يأخذ منها ما يروق له في الوقت الذي يحدده، ويترك منها ما لا يروق له في الوقت الذي يحدده، فالعيب عيب ذاتيّ في المسلم لا في الإسلام.

والكلام في أبواب الأخلاق والفضائل والبرّ والصّلة والآداب كلام طويل يحتاج إلى مجلّدات بدءًا من برّ الوالدين وأصدقائهما وصلة الرحم التي لا توصل إلَّا بهما وتحريم التحاسد والتباغض والتدابر والهجر والخصام وظن السوء والتجسس والتنافس والتناجش والتهاجر والرياء والنفاق والغصب والسرقة والفحشاء والمنكر، واستحسان

الحب في الله وعيادة المريض ونصـرة المظلوم والتراحم والتعاطف بين الناس والعفو والتسـامح والتواضـع والرفق واللين وطلاقة الوجه والرحمة بالضـعفاء والوصـية بالجار وغير ذلك من أبواب الفضـائل والآداب، الكلام عن كل ذلك قد يخرج هذا البحث عن مساره؛ حيث يكفينا بشأنه أن نقول: إن أسباب ومسبّبات الانحطاط الأخلاقي والسلوكي والانفلات الديني الذي عليه الكثيرون من مُسـلمي العصـر الحاضـر، إنما ترجع إلى ذواتهم أنفسهم لا إلى الإسلام وشرائعه.

إن نفرًا غير قليل من مسلمي العصر يعيشون في أوساط المسلمين وبين ظهرانيهم قد أقفرت حياتهم الذهنية والنفسية من كل خير يَشْرُف به إنسان، فهم دائبون على تلويث منابع الخير، وتصـديع أركان الأمة، وقانونهم الأول وشـعارهم الأخير هو: إذا لم نسـتطع أن نرقى إلى مراتب المُثُل العليا، فلنجعل هذه المُثُل تهوى إلينا في منحدرنا الأخلاقي والقيمي، وإذا عجزنا عن الالتزام بالصراط المستقيم والتزام فروضه وشروطه، فلنحضِّر الملتزمين بـه ولنجرّهم إلى مزالق الإثم والفجور، حتى يسـتوي الجميع في المجون والخنا، فإن الشـخص القذر يرضـيه أن تكون الدنيا كلها على غراره، ويغضـبه أن يترفّع الناس عن مآثمه وعاره.

المطلب الثاني:
اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة

غني عن البيان أن اللغة العربية هي لسان الأمة العربية، ومستودع ثمار عواطفها وعقولها وتجاربها الإنسانية وسجلّ حضارتها، وإحدى المقوّمات الأساسية التي تبنى عليها شخصيتها ومكانتها بين الأمم، وما رأينا أمة ناهضة تعتز بقيمها ومكانتها وحضارتها تستعير لغة أخرى غير لغتها في التعبير والتعليم والتدوين، بل رأينا التنافس بين الدول في الاحتفاء بلغاتها، وإنشاء المراكز والمعاهد لتدريسها، ونشر ثقافتها وآدابها[1].

وإن من أعظم ما تعتزّ به الأمم من تراث إلى جانب دينها هو لغتها، فاللغة في حياة الأمم تمثِّل أعظم معالمها، ومن خلالها تتمايز عن غيرها.

واللغة العربية من أهم مقومات الأمة إذ نزل بها القرآن الكريم، وإذ تمتاز بدقة في الألفاظ وسِعة في المعاني وفصاحة في التراكيب، ومن ثم فإنها وبحق عنوان للهوية العربية، وسوف تظل باقية ما بقي القرآن الكريم كتاب يتلى ويعمل بأحكامه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

والمسلمون في أشدّ الحاجة إلى إجادة اللغة العربية لفهم دينهم والوقوف على صحيح المعاني والأساليب التي احتواها كتاب ربهم، ومن واجبهم اليوم أكثر من أي وقت مضى الذود عنها ضد أشرس هجمة تستهدف تقويضها وصرف أبنائها عن التحدث بها، وغزوها في عقر دارها، حتى رأينا العديد من المدارس والجامعات التي تُعلِّم أبناء العرب والمسلمين بكل لغات العالم الحيَّة عدا اللغة العربية، وحتى رأينا الكثير من الشركات والفنادق والمحال التجارية تتسمّى بأسماء غير عربية، وحتى رأينا التخاطب بين العرب وبين الوافدين الأجانب يتم بلغات أخرى غير العربية[2]، وتلك

---

(١) أ.د/ أحمد بن ناصر الحقيل في تقديمه لكتاب اللغة العربية هوية وانتماء لمؤلِّفه الأستاذ/ عبد الله بن حمد الحقيل، مطابع الحميضي بالرياض، ١٤٢٣٢هـ.

(٢) راجع في هذا المعنى: الأستاذ الأديب/ عبد الله الحقيل في مؤلَّفه السابق الذكر، صفحات متعددة.

إهانة ما بعدها إهانة للغة العربية في عقر دارها وعلى أيدي أبنائها، في الوقت الذي تتطلّع فيه كثير من الدول والشعوب إلى تعلُّم اللغة العربية والنُطق بها باعتبارها لغة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وبخاصة تلك الدول التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي بعد تفككه في وسط آسيا والتي كانت في يوم من الأيام منبعًا للتراث الإسلامي والثقافة الإسلامية التي ما زلنا نفخر بنتاجها من مؤلَّفات علماء من أمثال البيروني والخوارزمي والبخاري وابن قتيبة وابن مسكويه والحاكم النيسابوري والبلاذري والسهرودي وغيرهم من أبناء دول ما رواء النهر من أواسط آسيا والبوسنة والهرسك والشيشان وبخاري وسمرقند بل وحتى إندونيسيا وتايلاند وماليزيا، فإن تعلُّم أبناء هذه الدول للغة العربية والتخاطب بها يُعد مطلبًا جماهيريًا لشعوبها؛ وهم لذلك يبتعثون أبناءهم إلى جامعات مصر والسعودية والقرويين لهذا الغرض[1].

وليس هذا حُبًّا للغة العربية في حد ذاتها، وإنما حبًّا في القرآن الكريم واهب الحياة للغة العربية[2]، فإنها بالقرآن الكريم صارت لغة مقدسة؛ لأنها اللغة الوحيدة التي تكلَّم بها الله سبحانه وتعالى إلى الناس، وهي تتفرد بقدسيتها هذه عن سائر لغات العالَم[3].

ولولا القرآن الكريم لصارت اللغة العربية اليوم بعد جناية أبنائها عليها وتباهيهم بالتخاطب بغيرها، لصارت أثرًا بعد عين، كما حدث للغة اللاتينية التي تمزقت إلى عدد من اللغات الأوروبية الحديثة.

ومن المعروف أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير أو الاتصال بين الناس فقط، وإنما هي تعبير عن روح الأمة، ولأجل هذا كانت جهود الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) متجهة إلى إماتة اللغة القومية لهذه المستعمرات

---

(١) أ.د/ رأفت غنيمي الشيخ، تقرير حول التحديات الحضارية التي تواجه الأمة الإسلامية، مُقدَّم إلى رابطة الجامعات الإسلامية، ص١٦.

(٢) أ.د/ عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، بدون ناشر، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص٢٥٦.

(٣) د/ سيد حسين نصر، الإسلام أهدافه وحقائقه، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص٤٦.

وإعلاء شـــأن اللغة الفرنســـية في التعليم والثقافة والتخاطب والأعمال الحكومية، وقد بذلت هذه الدول بعد تحررها من الاستعمار جهودًا مضنية في استعادة لغتها العربية، وما زلنا نشـــهد حتى اليوم آثارًا لذلك. إن اللغة العربية اليوم تُهان وتنتقص من عدة جوانب منها:

جوانب الانتقاص من اللغة العربية:

١- الروايات التمثيلية التي تقتحم على الناس منازلهم على شـاشـات التلفاز ليل نهار، بما تحكيه من عبارات ســوقية، وما تحييه من ألفاظ كان يجب أن تموت مكانها وما تؤذي به المسامع باللهجات العامية الشاذة المنكورة.

٢- الأشـــخاص الذين يتباهون بفرنجة لســـانهم ويرون أنه من الرقيّ والتمدُّن التلفّظ ببعض كلمات بالإنجليزية أو بالفرنسية المحشورة وسط كلامهم باللغة العربية، وهذا الصِنف من الناس رضوا بأن يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

٣- وأما الجانب الثالث الذي تنتقص وتُهان منه اللغة العربية في ديارها فإنه يقع من نفر غير قليل من المســئولين عن التعليم في المجتمعات العربية الذين يرددون مقولتهم بعجزها عن استيعاب التقدُّم العلمي والمصطلحات العلمية في مجالات الطب والهندسة والحاسب الآلي والعلوم التطبيقية، ويتمسكون بتدريس وتعليم هذه المجالات باللغة الإنجليزية، وهذه المقولات إنما تنمّ إما عن عجز القائلين بها عن فهم لغتهم العربية، وإما عن عجزهم في محاولة نقل محتويات هذه العلوم وترجمتها إلى العربية، وإما عن محاولة إخفاء تفاهة مضـمون ما يقدمونه لطلابهم من مادة علمية في محتويات هذه العلوم عن طريق تغريب الشـكل الذي يضـعونها فيه[1].

---

(١) الداعية الشـيخ/ محمد الغزالي، مشـكلات في طريق الحياة الإسـلامية، نهضـة مصـر بالقاهرة، ص٦٨.

ونحن في كل ما تقدَّم لا ننكر فائدة بل وضـرورة تعليم وتعلُّم اللغات الأجنبية الحيَّة بطريقة جادة وعميقة لكل أبناء الأمة العربية والإسـلامية، حتى يمكنهم الاتصـال والتعامل مع العالم المعاصِـر، لكن تعلُّم وتعليم اللغات الأجنبية شـيء واسـتعمال اللغة الوطنية شـيء آخر، فإن دولًا كثيرة؛ مثل: فرنسـا وألمانيا وهولندا والصـين تدرس العلوم التجريبية التطبيقية بلغاتها الوطنية لا باللغة الإنجليزية، واللغة الهولندية على سبيل المثال لا يتكلَّم بها في العالم إلَّا الهولنديون الذين لا يتجاوز عددهم العشـرين مليون نسـمة ومع ذلك فإن التعليم في جميع مراحله في هولندا لا يتم بغير الهولندية.

والخلاصـة: أن اللغة العربية تعيش حاضـرها في محنة، وتكتنفها مخاطر عديدة على أيدي أبنائها عمدًا أو جهلًا أو تقصيرًا.

المطلب الثالث:
التنوير الزائف

تعريف التنوير الزائف:

تقول العرب: نارَ نَوْرًا: أضاء، وأنار المكان: أضاءه، وأنار الأمر: وضَّحَهُ وبيَّنه، ونَوّر على فلان: أرشده وبَيَّن له أمرًا، واستنار: صار واعيًا مثقفًا، واستنار برأي فلان: اهتدى به[1].

أما الزائف فإنه اسم فاعل مشتق من زاف الشيء إذا غشَّه وجعله رديئًا بعد أن كان جيدًا ومنه: زيّف الأقوال أي غيرّها عن وجهها الصحيح.

ويعاني العالم الإسلامي المعاصر من تحدٍّ ثقافي داخلي هو تحدي التنوير الزائف الذي يقوده بعض المثقفين من أبنائه المناوئين للعمل بالأحكام الشرعية الإسلامية، وتتمثل مشكلة التنوير الزائف في عدة أمور منها[2]:

١- عدم تحديد مفهوم التنوير تحديدًا دقيقًا.
٢- الفهم المتناقِض لعلاقة التنوير بالدين أو ما يطلقون عليه الموروث الثقافي.
٣- محاولات الدمج بين مفهوم التنوير ومفهوم تغريب الأمة.
٤- مسايرة دعاة التنوير للكُتّاب الأوروبيين في الدعوة إلى المنهج الأمريكي في السلوك والقيم ورفض التقيُّد بأية ثوابت دينية، حتى يخرج المسلمون على حد قولهم من مستنقع التاريخ والتخلُّف.
٥- إقصاء الدين والثوابت العقائدية وكل ما هو مقدّس عند المسلمين وفصله عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لحياتهم.
٦- التحرُّر من كل ما يتصل بالتراث الثقافي الإسلامي وإعلاء شأن العقل والإنسان في مواجهة الغيبيات والمقدّسات.

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص٦٣٨، مادة (نوَّر).

(٢) أ.د/ نبيل السمالوطي، تقرير حول التحديات الاجتماعية التي تواجه الأمة الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٤١٢هـ، ص٣٤.

وبكل أسف فإن أنصار الدعوة إلى التنوير من المثقفين المسلمين قد تبوءوا اليوم أماكن مرموقة في مراكز صنع واتخاذ القرار في الدول الإسلامية وراجت دعاواهم وشاعت نظرتهم إلى الإسلام وإلى نصوصه الدينية باعتبارها تراثًا تجاوزه التاريخ في مسيرته الحضارية، وأنه أصبح فكرًا معوِّقًا للتقدُّم، حتى أصبحت هذه الدعاوى وتلك النظرة نَغَمَةً ترددها بعض وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية على استحياء، وترددها وسائل إعلامية أخرى جهارًا نهارًا دون إدراك أو وعي أو دراسة متعمِّقة للإسلام ولثوابته القيمية.

نتائج تحدي التنوير الزائف:

لقد أثمر التنوير الزائف عددًا من النتائج المباشرة التي أصابت نفرًا غير قليل من شباب المسلمين من أهمها:

١- أصبح الشباب ثُمَالى[1] يترنحون من طول ما خدّرتهم عقاقير الجهالة والمذلّة التي تصنعها أقلام دعاة التنوير من المثقفين المسلمين.

٢- أصبح تراث النبي محمد ﷺ من الهدي والخير والرحمة والعلم والنور تراثًا تتقاسمه قوى الشر والضلال والزيف والخداع، وترصد جهدها كله لهدمه وامتهانه وصرف الناس عنه.

٣- تحوّلت الشريعة الإسلامية السمحة في نظر دعاة التنوير الزائف إلى سجن ضيِّق ومَحْبس خانق، وتحولت القيم والثوابت الدينية الرشيدة في أعينهم إلى ليل ضرير طامس لا تلوح فيه نجمة هادية، واستقرّ في وجدانهم أن تعاليم الإسلام ونصوصه مجرد خرافات وأوهام يركض وراءها المسلمون إلى غير هدف، أخزاهم الله بما استحكم عليهم من الهوى وبما كمن في نفوسهم من المآرب الخبيثة.

إننا لا نملك إلَّا أن نقول لدعاة التنوير الزائف: إن للجهل ظلامًا لا يمحقه إلَّا ضياء العلم، وللرذيلة سواد لا يمحوه إلا سناء الفضيلة، وللريبة ظلا لا تنسخها إلَّا أشعة

---

(١) عَمِلَ عَمَلًا: سَكِرَ من الشراب فهو ثَمِلٌ، وأثمل الشراب فلانًا: أسكره.

الحقيقة، وللبغي غشاوة لا يحرقها إلا وهج العدل، ولنسيان الله ثم نسيان النفس ليل معتكر داكن طويل لا يشقه إلَّا صبح الإيمان، ولا يمزِّق حُجُبُه إلَّا ضحاه العريض.

وكما كانت رسالة محمد ﷺ، كان محمد ﷺ ذاته نورًا يتألَّق سراجه في آفاق البشر مثلما تتألق الشمس في كبد السماء، وكانت أقباس هذا النور تخامر الأفئدة، وتنساب إلى العقول، لتخلص المؤمنين من ظلمات الحيرة والطيش والتخبُّط: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، فإن كنتم يا دعاة التنوير الزائف لا ترون هذا النور الساطع، فإن الله قد أخبرنا عنكم بقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

المبحث الثاني:
ركائز التغيير من واقع العالم الإسلامي

مقدمة

يخطئ من يظن أن الحدود الفكرية والاعتقادية لدعوة الإسلام قاصرة فقط على مسائل الغيبيات وقاصرة عن التخطيط لمستقبل المسلمين، فالحق أن الحيّز الفكري والاعتقادي والواقعي للإسلام مشتمل على الأمرين معًا.

وإذا كان من المقرر في العقيدة الإسلامية أن الغيب موكول أمره لله وحده لا شريك له إعمالًا لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فإن الخالق ﷻ قد خلق الكون وربطه بالسُنن والنواميس المضطردة التي لا تتغير إلَّا بإرادته وحده سبحانه، كما خلق في الإنسان آلية التوقّع والتدبّر في السُّنن والنواميس واستنباط النتائج والقوانين وقياس الفروع على الأصول، والحادث على القديم، ومن هذا المنطلق قعّد فقهاء المسلمين قواعد فقهية للنوازل والمآلات، والافتراض والمستجدات والتوقعات المستقبلية، وقرروا أن اعتبار المآل المستقبلي في الأفعال والتصرفات أصل من أصول الاجتهاد في الشريعة الإسلامية[1]، وإلى هذا يشير الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه ابن ماجة في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلِنُوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله ورسوله، إلَّا سلَّط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم شديدًا».

---

(١) أ.د/ أحمد عيساوي، مدخل إلى مناهج الدعوة، دار الكتاب الحديث بالقاهرة، ١٤٣٦هـ، ص٦٠.

فهذه خمس خصـــال ارتبط بهن خمس جزاءات دنيوية، جزاءً وفاقًا على ارتكابها، والحديث دعوة للمســلمين لكي يحذروا من مآلات أفعالهم ولكي يغيِّروا من واقع أعمالهم وسلوكهم إن كانوا قد ابتلوا بواحدة أو أكثر من هذه الخصال الخمس، ونسأل الله السلامة.

وبعد هذه المُقدِّمة الموجزة والتي هي دعوة صريحة للأفراد والجماعات من أجل تغيير الواقع السّيءّ إلى واقع جديد أصلح منه سوف نقسِّم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:
التجاوب مع المتغيرات الدولية

تمهيد:

إن أيّ مسلم عاقل متابع للمتغيِّرات الدولية المحيطة بالعالم الإسلامي يدرك بأن الحياة في المجتمعات الإسلامية قد تغيّرت؛ حيث استبدلت الأمة الإسلامية قوتها بضعف وعزّتها وغلبتها بمذلة وهزيمة وغناها بفقر وعلمها بتخلف وبدت في الوقت الحاضر جثة هامدة خاملة وسط عالم يموج بالجيل الرابع من التكنولوجيا المتقدِّمة.

وتلك حقيقة واقعية في أيامنا، تتطلب حلولًا جذرية عملية وجهودًا مضنية للتغلُّب عليها، والمخلصون من أبناء العالم الإسلامي يدركون اليوم أكثر من أي وقت مضى أن المتغيرات والمشكلات الجديدة في عالمنا المعاصر، والتي تُعدّ على درجة قصوى من الأهمية وتعترض بل وتعرقل الحياة في المجتمعات الإسلامية وبخاصة مشكلات التكيُّف والتعامل والتجارب المتعقِّل وليس العشوائي مع المدنية الغربية والتقدُّم العلمي والتكنولوجيا الحديثة والعولمة الثقافية، كل ذلك لم يعد يمكن مواجهته بمجرد القول: إن الإسلام يدعو إلى العلم وأنه دين اقرأ وأنه صالح لكل زمان ومكان؛ لأن القصور ليس في ذات الإسلام وإنما في تقصير أتباعه عن الالتزام والعمل بأحكامه وأوامره ونواهيه، فإن الإسلام قد ارتقى بالمسلمين الأوائل أبناء الصحراء القاحلة وقت أن كانوا يتميزون بالهمم العالية والعزائم القوية والإرادة الصلبة على تغيير واقعهم، وقت أن كانوا يدركون حق الإدراك أنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم لذلك يجب أن يتفوقوا على الأمم الأخرى علميًا وأخلاقيًا وسلوكيًا، وهذا ما نفتقده في زماننا.

لذلك: لم يعد ممكنًا حل مشكلات التكيُّف مع العولمة عن طريق البحث في كتب التراث الفقهي أو التاريخي واستخراج إجابات علمائنا القدامى على قضايا عصرنا فإنهم لم يروا مشكلاتنا ولم يعاصروها ولو رأوها وتصوروها لوضعوا حلولًا جذرية لها، كما لم يعد ممكنًا حل هذه المشكلات عن طريق التقليد الأعمى للأفكار الغربية الأوروبية

الحديثة، وإنما يمكن حلها بروح الإسلام باجتهاد جديد، كما كان يفعل علماؤنا السابقون فيما كان يعترض حياتهم وحياة مجتمعاتهم من مشكلات[1].

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من حل ومواجهة مشكلات حياتنا عن طريق التقليد الأعمى للغير بقوله: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: فمن؟».

متطلبات التجاوب مع المتغيرات الدولية المحيطة:

إن التجاوب مع المتغيرات الدولية المحيطة بالعالم الإسلامي وبخاصة المتغيرات العلمية والتكنولوجية، يحتاج إلى تغيير كبير في منظومات البحث العلمي في الدول الإسلامية لزيادة كفاءة أدائها حتى يمكنها أن تستشعر توجهات العصر وتلتقط إشاراته وتستجيب لها وتستوعب التكنولوجيا المتقدمة وتتعامل معها، وتضيف إليها، وتطورها وتستوطنها وتولّدها وتتصدى لقضايا العلم، وتضيف إلى حصيلته المعرفية[2].

إن الباحث إذ يتصدّى لمتطلبات التجاوب مع المتغيرات الدولية المحيطة بالعالم الإسلامي فإنه يدرك أن البقاء اليوم لعالمنا الإسلامي يتوقَّف على القدرة على الانطلاق الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي والقيمي للمجتمعات الإسلامية هذا الانطلاق الذي يجب بناؤه على مؤسسات تعليم متميزة ومتنوعة في شتّى مجالات العلم والمعرفة، على أن يتم في كل مجال علمي اختيار القدرات المميزة لإبراز كفاءتها فيما تخصَّصت فيه، وتخريج عناصر بشرية ذات قدرة عالية على تغذية مرافق الفكر والإنتاج والخدمات بالقدرات الدافعة إلى التجويد وإثبات الوجود والتنافس في عالم العولمة، تلك العولمة التي نخشى أن تكون حكرًا على غيرنا وألَّا يكون لنا فيها حقًّا معلومًا بين عالم الأقوياء.

---

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ص٦٠.

(٢) أ.د/ علي علي حبيش، التحديات العلمية والتكنولوجية والفرص المتاحة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، نوفمبر ١٩٩٦م، ص١٦ وما بعدها بتصرُّف.

المطلب الثاني:
التنمية البشرية والتكنولوجية

تقول العرب: نَمَا الشيءُ نماءًا ونُمَوًّا: أي زاد وكثر، وأنمى الشيء: جعله ناميًا ونمَّى الشيء: أَنْماه.

وإذا كانت التنمية تعني في مفهومها الاقتصادي الاستثمار في الصناعات أو في القطاعات الإنتاجية غير المستغلة لدفعها إلى الأمام سواء كانت هذه القطاعات صناعية أو زراعية أو خدمية، وذلك بما يؤدي إلى زيادة حقيقية في الدخل الحقيقي للفرد في المجتمع، على اعتبار أن زيادة دخل الفرد زيادة حقيقية هدفًا رئيسيًا للتنمية[1]، إذا كانت التنمية في مفهومها الاقتصادي تعني هذا المفهوم، فإن كثيرًا من الاقتصاديين لا يقصرها على الجانب المادي فقط، بل يجعلون لها جوانب أخرى اجتماعية وجوانب توزيعية إضافة إلى جانبها المادي أو الاقتصادي.

تعريف التنمية البشرية:

إن التنمية البشرية تعني في مفهومها المُبسَّط: الاستثمار في البشر؛ أي الاهتمام والرعاية للعنصر البشري في المجتمع، رعايتهم علميًا وثقافيًا وصحيًّا ونفسيًا وترفيهيًا وقيميًا، وذلك على اعتبار أن عناصر رعاية البشر تُعد مقومات رئيسية للتنمية الاقتصادية، فإنه كلما كان أفراد المجتمع أصحاء بدنيًا ونفسيًا وكلما كانوا يعرفون قيمة العمل الجاد والإنتاج الجيد، ويقدرون قيمة العلم والتكنولوجيا ولديهم ميول ادخارية وليس استهلاكية، ويعرفون قيمة التنظيم والبحث العلمي ويقدِّرون قيمة مشاركتهم في زيادة الإنتاج وقيمة المحافظة على عناصر الإنتاج المُتاحة لمجتمعهم، كلما كانت التنمية الاقتصادية أكثر تقدُّمًا وازدهارًا.

فالتنمية البشرية تعتبر وبصدق شرطًا مُسبقًا للتنمية الاقتصادية؛ لأنه كلما كان أفراد المجتمع مهيئين صحيًا ونفسيًا وعلميًا ولديهم رغبة في النهوض بدولتهم وفي التقدُّم

(١) أ.د/ عطية عبد الحليم صقر، دراسات في علم الاقتصاد والتشريعات الاقتصادية، توزيع دار النهضة العربية بالقاهرة، ص٢٠٦ بتصرُّف.

والاكتفاء الذاتي لاحتياجاتهم من الكساء والغذاء والسلاح وسائر متطلبات حياتهم وكان لديهم الاعتقاد الراسخ بأنهم قادرون على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم وعلى تبوأ دولتهم لمكانها بين صفوف الدول المتقدِّمة وكانوا يمتلكون نظمًا اجتماعية واقتصادية وقانونية وسياسية مشجعة على التقدُّم والازدهار كلما تحققت التنمية[1].

متطلبات تحقيق التنمية البشرية (الاستثمار في البشر):

١- تنمية وإعلاء منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية؛ مثل: الإحساس بالانتماء الوطني، والشعور بالتفوق وبالقدرة على تحقيق الإنجازات، وقيم الإخلاص في العمل، والصدق، والأمانة، واحترام الآخر، ومراقبة الله ﷻ إلى غير ذلك من القيم الاجتماعية التي تخلق المواطن الصالح في المجتمع وتنمي لديه الشخصية التي تتمتع بالإحساس بالواجب وبالشرف وبالحرية، بلا نزعة عرقية ولا انغلاق فكري ولا رغبة في العدوان والسيطرة[2].

٢- تنمية قدرة الفرد على التعلُّم واكتساب المعلومات من خلال الاتصال المباشر بالمصادر الرئيسية والأصلية للمعلومات، فإن الله سبحانه قد جعل التعلُّم تكليفًا شرعيًا في أول آية نزلت في القرآن الكريم «اقرأ» إذ عن طريق التعلُّم أولًا، يأتي التعليم من المتعلمين، وكأن المشرِّع الحنيف بهذا التكليف ينعي على الأميين أميتهم وتقصيرهم في التعلُّم الذي يستتبعه تقصيرهم في تعليم صغارهم[3].

٣- تنمية قدرة الفرد على التفكير المتبصِّر الناقد للمعلومات التي تُطرح أمامه أثناء تواجده في أسرته أو في مدرسته أو جامعته أو عمله أو الشارع الذي يمر به أو وسائل الإعلام التي يشاهدها أو يسمعها أو يقرأها، وذلك دون الانسياق وراء

---

(١) أ.د/ محمد رضا العدل، مؤشرات النمو والتنمية، مكتبة عين شمس بالقاهرة، ص٢١ وما بعدها بتصرُّف.

(٢) د/ محمد البهي، الإسلام في حياة المسلم، مكتبة وهبة بالقاهرة، ص٣٣٠ بتصرُّف.

(٣) أ.د/ عبد الغني عبود، التعليم مدى الحياة في الإسلام، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٥ وما بعدها بتصرُّف.

الأكاذيب والمغالطات والشائعات المغرضة، فالله ﷻ ما قصّ القصص أو فصّل الآيات أو ضـرب الأمثال إلَّا لقوم يتفكرون، قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٦]، وقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

٤- تنمية قدرة الفرد على الابتكار والإبداع والتنظيم والتخطيط والتقويم ليس على مستوى القيادات الإدارية وحدها، وإنما على المستويات الفردية، فإن الفرد القادر على ذلك قادر على إدارة أزماته وعلى التعامل السريع مع المواقف الطارئة التي تعترض حياته، وعلى تحليل وحل مشكلاته.

المطلب الثالث:
الانضباط السلوكي والأخلاقي

نعني بالانضباط السلوكي والأخلاقي: الالتزام بأمرهما التزامًا لا اعوجاج فيه ولا نقص أو تقصير بالمحافظة عليهما وإصلاح وتصحيح كل خلل يلحق بهما.

ويُعدّ الانضباط السلوكي والأخلاقي مدخلًا رئيسيًا وركيزة أساسية من ركائز التغيير من واقع العالم الإسلامي المعاصر.

وإذا كان الانضباط يعني الالتزام فإن ضده أو نقيضه يعني التسيُّب، والإهمال والترك والتخلية والسير على غير بصيرة ولا هدى ولا رويّة.

مستويات الانضباط السلوكي والأخلاقي:

للانضباط السلوكي والأخلاقي مستويان رئيسان هما: المستوى الفردي والمستوى القيادي:

ونقصد بالمستوى الفردي: مستوى الانضباط في حدود مسئولية الفرد عن نفسه وعن تصرفات أفراد أسرته، فإن الفرد في ذاته وشخصه في حاجة إلى سلطة ضابطة مرشدة توجه سلوكه وتضبط تصرفاته، خاصة إذا كان يتصف بالتسيُّب والإهمال، فإنه وبحالته هذه يكون سلوكه غير ناضج وتصرفاته غير مسئولة ويكون في أشد الاحتياج إلى تعلُّم المعايير السلوكية والأخلاقية، وإذا استمر على حالته هذه في خضوعه لنزواته وخروجه على كل نظام يقرّه المجتمع وعدم احترامه لنصائح وإرشادات الآخرين، واستفحل أمره وصعب علاجه، كان من حق المجتمع الذي يعيش فيه أن ينبذه ويعاقبه ويرغمه على الالتزام بقيم الجماعة وآدابها.

أما المستوى القيادي من الانضباط السلوكي فإنه يختص بمدراء الإدارات والأعمال، وهو يفترض في المدير أن يكون مرجعًا ونموذجًا وقدوة لمرءوسيه موثوقًا به عند الرجوع إليه في مشكلات العمل.

إنه يفترض في المدير فضلًا عن الانضباط الذاتي الذي يجب أن يتمتّع به، أن يتمتع بالمهارات والمعارف المطلوبة لإنجاز أعمال إدارته وتحقيق أداء متميز، والمدير الناجح يستمد قوته ونفوذه على مرءوسيه من عدة مصادر منها[1]: قوة أو نفوذ المنصب، وقوة الحافز أو المكافأة، وقوة الجزاء أو العقاب، وقوة القانون، وقوته المستمدة من ذاته وشخصيته وقدرته على التحكم والسيطرة على الآخرين ومعارفه ومهاراته، وبالطبع على انضباطه الشخصي في عمله؛ لأنه لا يستطيع أن يأمر مرءوسًا بالانضباط وهو مهمل متسيِّب غير منضبط.

ولعل من أهم عوامل التخلُّف والضعف في حياة الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر التسيُّب الإداري وتفشي ظاهرة الفساد الإداري في صفوف كبار وصغار موظفي الإدارات الحكومية، ذلك التسيُّب والفساد الذي يفقد الدولة الإسلامية الكثير من مواردها المالية، نتيجة لسوء وتخلُّف الفكر الإداري في إدارة موارد الدولة، وضعف إنتاجية عناصر الإنتاج المتاحة لديها، بل ولتعطُّل تشغيل الكثير من هذه العناصر، ولربما لحق الفساد الإداري بعمل الأجهزة الإدارية ذاتها، وخلق ما يُعرف بالبيروقراطية الإدارية والتي تعني في أبسط معانيها[2]: فساد الإدارة الحكومية وتسلّطها وخلق التعقيدات الروتينية وبطء الإجراءات والوساطة والمحسوبية، والنمط الإداري المستبد، والسلطة المُطلقة التي يتمتع بها ويمارسها الموظف العام خلال أدائه لوظيفته في نظام الخدمة المدنية.

---

(١) الأستاذان د/ محمد مصطفى الخشروم، د/ نبيل محمد موسى، إدارة الأعمال، مكتبة الشقري بالرياض، ١٤١٩هـ، ص٣١٥.

(٢) الأستاذ الدكتور/ علي المبيض وآخرين، الإدارة العامة، دار الحريري للطباعة، بدون ناشر، ص١١٠ بتصرُّف.

النتائج السلبية للفساد الإداري والتنظيم البيروقراطي:

لما كانت البيروقراطية الناتجة عن الفساد الإداري مرضًا إداريًا يكشف عن مفاسد ومساوئ الإدارة وعن المظاهر السلوكية والإدارية والتنظيمية التي تصيب جهات الإدارة الحكومية بالأمراض التالية:

١- خلق صورة سيئة للروتين الإداري والجمود والتعقيد وإجراءات التنفيذ المطوّلة والمعرقِلة لمصالح الجماهير.

٢- التسلّط الإداري وتركيز السلطة وانفراد المستويات الإدارية العليا باتخاذ القرارات.

٣- التهرُّب من المسئولية والتراخي في العمل والتعالي على المواطنين.

٤- الاعتماد على العلاقات الشخصية والمحسوبية والرشوة في إدارات الخدمة المدنية كأساليب لإنجاز الأعمال أو لاختيار الموظفين وترقيتهم وقياس كفاءتهم.

٥- تضخم الجهاز الإداري في الدولة والإسراف في النفقات والاهتمام بالشكليات وكثرة السجلات والأوراق والنماذج والتوقيعات والاعتمادات[١].

٦- الميل الدائم لتمييع المسئولية والتمسُّك باللوائح والإجراءات الرسمية العقيمة.

٧- عدم الرغبة في تفويض السلطة والميل إلى المركزية في أداء الأعمال.

٨- الرغبة في السلطة وإشباع حاجة الموظف الإداري لتأكيد ذاته وإثبات أهميته[٢].

٩- ولعل أخطر النتائج السلبية المترتبة على الفساد الإداري يتمثل في فقد الدولة لهيبتها في نظر مواطنيها وضعف ولائهم لها وإحجامهم عن المشاركة في برامج التنمية التي تنفذها.

---

(١) أ.د/ إبراهيم درويش، الإدارة العامة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص١٩٠ وما بعدها بتصرُّف.

(٢) راجع في هذا المعنى: أ.د/ إسماعيل صبري مقلد، دراسات في الإدارة العامة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م، ص٤٥ وما بعدها بتصرُّف.

وذلك بما يكشف عن أهمية وضرورة الانضباط السلوكي والأخلاقي على المستوى الفردي وعلى المستوى الإداري.

ونحن لا نبالغ إذا قلنا: إن من أهم ركائز التغيير من واقع العالم الإسلامي في زماننا أن نوفِّر ونشبع ونعلِّم أفراد المجتمعات الإسلامية المعايير السلوكية الرشيدة، بما فيها المعايير الدينية والمعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية والأحكام القانونية واللوائح والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية الراسخة في ضمير الجماعة[1].

ويجب أن يتم هذا التعلُّم من خلال عملية التطبيع الاجتماعي بين الفرد وبين مجتمعه ومن خلال تفاعل الفرد وتعامله مع الآخرين ومن خلال الكتاب المدرسي والكتاب الجامعي والبرامج والمناهج التعليمية، فإن هذه المعايير كما أنها مهمة وحيوية للفرد، فإنها ضرورية لاستقرار المجتمع.

(١) د/ حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب بالقاهرة، ١٩٧٣م، ص١٠٧.

الفصل الثاني:
العوائق الذاتية والخارجية أمام تطور العالم الإسلامي
وسُبُل الخلاص منها

تمهيد:

تعني كلمة العوائق: الشواغل والأحداث، أخذًا من الفعل (عاقه) عن الشيء عوْقًا أي منعه وشغله عنه فهو عائق، والجمع عوائق، وعوائق الدهر شواغله وأحداثه، وأما الذات فإنها تعني: النفس، والعين، والشخص والباطن والسريرة[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أي ببواطن وسرائر ما في الصدور، والعوائق الذاتية تعني: الأحداث المستجدة والمتغيرات الدولية التي تمنع أو تشغل العالم الإسلامي عن التطور والتقدُّم والمتصلة بذوات المسلمين أنفسهم، أو الوافدة عليهم من خارج بلادهم ومن فوق إرادتهم، والتي تشكِّل تحديات يجب عليهم التغلُّب عليها والخلاص منها.

وفي بيان هذا البحث لنوعي العوائق الذاتية والخارجية سوف يتم تقسيمه إلى مبحثين، يخصص كل واحد منهما لأحد نوعي هذه العوائق.

---

(١) المعجم الوجيز، ص٢٤٢ مادة (ذات).

المبحث الأول:
العوائق الذاتية وسُبُل الخلاص منها

تمهيد:

إذا كان العالم الإسلامي يريد نهضة حقّة فإن عليه أن يدرس بدقة وبصيرة أسرار ما أصابه[1]، فإن العافية لا تتيسّر بدواء مرتجل، والنصر لا يجيء باقتراح مرتجل، ولن ينتصر الدين أو يتطور العالم الإسلامي بأناس يتحركون في مواضعهم دون أن يستطيعوا نقل أقدامهم ولا يُرون إلا وهم يتجهون إلى الوراء لا إلى الأمام؛ ولهذا يرى الباحث أنه لكي يبدأ العالم الإسلامي نهضة واعية، تعتصم بالوحي الأعلى وتتأسَّى بالرسول وصحبه الكرام، وتنتفع بتجارب القرون تحديد العوائق الذاتية موضوع البحث في هذا المبحث في ثلاثة عوائق رئيسية يمكن إدراج الكثير من العوائق الفرعية تحت مظلَّتها، وسوف يتم بحث كل عائق منها على انفراد في مطلب خاص على النحو التالي:

(١) الداعية الشيخ/ محمد الغزالي، هموم داعية، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ص١٣٤.

المطلب الأول:
التنشئة الاجتماعية الخاطئة للشباب

يحتاج الشاب بدءًا من يوم ولادته إلى ثلاثة أنواع من التربية هي:

١- التربية الجسدية بإشباع دوافع الجوع والعطش والإخراج والنوم لديه.

٢- التربية النفسية الوجدانية بإشباع حاجات الأمن والتقدير الاجتماعي والتحصيل والنجاح وتعلُّم المعايير السلوكية الرشيدة.

٣- التربية الاجتماعية بالتنشئة الاجتماعية المعتدلة والمتوازنة له.

دور التنشئة الاجتماعية في حياة الشباب:

تهدف التنشئة الاجتماعية المعتدلة والمتوازنة إلى تحويل الطفل من كائن يعتمد على غيره في حياته، ويتمركز حول نفسه لا يهدف في حياته إلَّا إلى إشباع حاجاته الخاصة، إلى كائن ناضج يدرك معنى المسئولية ويقدر على تحمّلها، ويتشرب قيم المجتمع وأعرافه وتقاليده ومعاييره ويلتزم بها ويصبح قادرًا على إقامة علاقات اجتماعية صحيحة مع غيره[١].

تعريف التنشئة الاجتماعية:

يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية بأنها: «العملية التي بواسطتها يتعلَّم الفرد طرق مجتمع ما، أو جماعة اجتماعية، حتى يتمكَّن من العيش في وسط المجتمع أو مع هذه الجماعة» أو هي كما يرى البعض[٢]: «عملية تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد، واستدخال ثقافة المجتمع في بناء شخصيته»، أو هي: «تحويل الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري يعيش في محيط أفراد من البشر ويتفاعل معهم، ويتعامل معهم على أُسس مشتركة من القيم التي تبلور أسلوب حياتهم».

---

(١) الأستاذان د/ عبد الغني عبود، د/ حسن عبد العال، التربية الإسلامية، ص٤٥٩ مرجع سابق.

(٢) أ.د/ حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ص١٩٣ مرجع سابق.

وليس للتنشـئة الاجتماعية عمر محدد تبدأ منه أو تنتهي إليه؛ حيث يمكن أن تبدأ بمجرد بلوغ الطفل سـن التمييز والإدراك وقدرته على فهم الخطاب وردّ الجواب، ثم تستمر ما بقي له من عمره شابًا ورجلًا وكهلًا؛ حيث يحتاج الإنسان دومًا إلى تشرّب قيم المجتمع ومعاييره وضـوابطه وعاداته وتقاليده المتجددة المتطورة، من والديه وأقرانه وأقرابه وجيرانه ومعلّميه، وكلما ازداد من فهم وإدراك هذه القيم والمعايير والضـوابط كلما ازدادت خبراته وتجاربه وحنكته وحكمته؛ حيث تظل شخصيته قابلة للتشكيل حتى وفاته[1].

إن التنشئة الاجتماعية أحد العوامل الرئيسية في تشكيل سلوك الفرد، شأنها في ذلك شـأن الوراثة والنضـج سـواء بسـواء، بل إن من الباحثين من يرى أن: «التكوين النفسـي للفرد، لا يتحدد بفعل ما يرثه من عنصر أو جنس أو بنية جسمانية، وإنما بفعل المجموعة الحضارية التي نشأ فيها، وما يكون لها من اتجاهات وقيم وعادات وتقاليد ومُثُل وثوابت دينية واجتماعية وثقافية، وبفعل ما تلزمه به وتفرضـه عليه من حلال وحرام وعيب ووجهات نظر خاصـة، وبفعل ما تنميه به وتشـجعه عليه من حب وبُغض وخير وشـر وصدق وكذب وأمانة وخيانة، ومن قدرات وإمكانيات[2].

ومن هنا نشـأت الحاجة الماسّـة إلى التعرُّف على منهج الله في مجال التربية الاجتماعية للشـباب والتنشـئة الاجتماعية الصـحيحة لهم، ولا نعني بالتعرُّف على هذا المنهج مجرد معرفة خصـائصـه ووسـائله وغاياته ومميزاته في عالم الأذهان، وإنما نعني بهذه المعرفة العيش به وجني ثماره في عالم الواقع.

وعليه: فإنه يمكننا أن نقول إن التربية الاجتماعية للشباب وتنشئته تنشئة إسلامية صـحيحة يعدّان شـرطًا جوهريًا لبناء وتكوين المجتمع الفاضـل الذي يملك مقومات

---

(١) د/ فوزية دياب، نمو الطفل وتنشـئته بين الأسـرة ودور الحضـانة، مكتبة النهضـة المصـرية، ١٩٧٨م، ص٢٧.

(٢) راجع في ذات المعنى: الأسـتاذان د/ أحمد سـلامة وعبد السـلام عبد الغفار، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٧٠م، ص٧٧ وما بعدها.

وأدوات التقدُّم والرّقي وبناء الحضارات، والذي على أساسه بنى صحابة رسول الله ﷺ مجتمعهم الإسلامي الأول في المدينة المنورة برعاية وتوجيه ومشاركة ومباركة النبي ﷺ والذي ساد الدنيا كلها في فترة زمنية قليلة، ونقل منهج الله في التربية الاجتماعية من الصورة الذهنية الجدلية إلى الحقيقة الواقعة المرئية، ألا وأننا نعيش في عالم يحتاج بأسره إلى هذا المنهج الذي أودعه الله ﷻ لدينا أمانة وطالبنا بأدائها وقت طلب المحتاجين لها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

وإذا كان للتنشئة الاجتماعية أهميتها القصوى في بناء المجتمع الفاضل باعتبارها الأداة التي يستخدمها المجتمع لإكساب أفراده القدرة على التكيُّف مع الجماعة، وضمان الولاء والانتماء للمجتمع والالتزام بما يفرضه عليهم من قوانين سلوكية والحفاظ على كيانه وبقاء واستمرارية تطوره وتجدده.

فإن المجتمع الفاضل لا يمكن إقامته أو بناؤه أو تطويره واستمراره إذا لحق الفساد بالتنشئة الاجتماعية لشبابه وأفراده؛ حيث لا يتصور بناء مجتمع فاضل في مكان تفوح بين جنباته رائحة العفن الخُلُقي، أو في مكان تنتشر فيه الرذيلة ويتجاهر بفعل الفحشاء والمنكر، أو في مكان يقطنه أموات غير أحياء لا يشعرون أيَّان يبعثون، أو في مكان يعلو سماؤه ظلمات بعضها فوق بعض من الجهل والفقر والمرض والعوار الخفي الذي ترادفت أضراره وتلاحقت أوزاره، أو في مكان أدبرت من ساحاته أسباب العافية والقوة وعوامل الغَلَبَة والمَنَعَة، أو في مكان وصلت به أمراضه الاجتماعية أقصى حدود الهوان والفوضى، أو في مكان تساقطت فيه معالم الإسلام واحدة بعد أخرى، أو في مكان تفشّت فيه مظاهر التزمّت وتقاليد التحلّل، وتقلّصت فيه حرمات الدين.

والسؤال المهم الآن هو: هل يستطيع عقلاء وحكماء هذا المكان أن ينجوا بمجتمعهم من لوثات القاصرين، وتراخي المقصّرين، وهل يستطيعون أن يردوا عن مجتمعهم عاديات الفسوق والإلحاد والفساد، وأن يرفعوا أعلام اليقين والرحمة والإصلاح والتقدُّم والازدهار، والجواب: لله أوْسٌ آخرون وخَزْرَجُ.

المطلب الثاني:
ضعف الاستثمار في البشر

لعل العائق الذي نحن بصـــدد الحديث عنه يُعدّ من العوائق الذاتية المهمة أمام تطور العالم الإسلامي في العصر الحاضر.

وتتمثل المشكلة الرئيسة في هذا العائق في ثلاثة جوانب أساسية هي:

١- التناقض الواضح بين الحجم الظاهري لأعداد السكان في العالم الإسلامي وبين حجم القوى البشـرية الفاعلة والقادرة على إحداث طفرات كبيرة في الإنتاج المجوّد والبحث العلمي والقدرة على توليد وتوطين التقنيات الحديثة، فبينما توجد زيادات هائلة في أعداد السكان، يوجد نقص واضح في أعداد القوى البشرية المؤهَّلة والقادرة على قيادة ركب التقدُّم والازدهار.

٢- الاختلال في التوزيع والتنوّع؛ حيث الملاحظ أنه بينما يوجد في صـفوف أبناء العالم الإسلامي عشرات الملايين من خريجي الجامعات والتعليم فوق الجامعي فإن غالبية هذه الأعداد متوجهة إلى دراسة العلوم النظرية الاجتماعية والإنسانية والقليل النادر منها في العلوم التطبيقية والتجريبية المنوط بها إجراء البحوث المعملية وتطوير الفنون الإنتاجية وإحداث التطوير التقني، وهو ما يعني أن هناك خللًا بين الكيف والتنوّع في أعداد المتعلمين في أبناء العالم الإسلامي.

٣- وأما الجانب الثالث من جوانب المشكلة المتصلة بعائق ضعف الاستثمار في البشر فيتمثل في: قصور وسائل وأدوات وآليات تأهيل القوى البشرية لقيادة ركب التقدُّم والازدهار نحو مستقبل أزهى وأفضل للعالم الإسلامي وربما رجع ذلك إلى الاهتمام المتزايد بالفن والفنانين ولاعبي كرة القدم ورصـــد الملايين لاستقطاب مدربي الكرة العالميين على حســـاب الاهتمام بمرفق التعليم ومؤسسات ومراكز البحث العلمي وأساليب الحصول على المعرفة.

وإذا أردنا سبيلًا للخلاص من هذا العائق، فإن السبيل الرئيس وليس الأوحد هو[1]: التركيز على إيجاد مؤسسات تعليمية ومراكز بحثية وابتكارية قوية وراسخة ومستمرة وقادرة على مواكبة التقدُّم العلمي والمنافسة فيه، مع توفير الإمكانات المادية والمالية اللازمة والكافية لهذه المؤسسات، مع الحدّ من برامج التعليم الجامعي وفوق الجامعي النظرية، التي لا تهدف إلَّا إلى البناء الذاتي للمتخرِّج.

وإذا أردنا سُبُلًا إضافية للخلاص من هذا العائق فإننا نقترح: وضع برامج وخطط ثابتة ومستمرة وقادرة على الحياة ومزاولة النشاط لتزويد شباب العالم الإسلامي بالقدرات والمهارات والكفاءات التالية:

١- القدرة على التعلُّم واكتساب المعلومات من خلال الاتصال المباشر بمصادر المعلومات بتوفير المراجع العلمية الأصلية في المكتبات العامة أو الابتعاث إلى الخارج أو باستقطاب واستضافة العلماء والخبراء البارزين العالميين.

٢- توظيف التعليم المُتاح في خدمة برامج التنمية، وربط التعليم التقني المتوسط والجامعي بالمؤسسات الإنتاجية والاقتصادية، وذلك بما يشجِّع المبتكرين على الابتكار والإبداع وينمي لديهم الحافز على بذل المزيد من البحث والاختراع.

٣- إقامة مراكز علمية وبحثية تتبنى الشباب الموهوبين والمبتكرين والمخترعين وتترجم اختراعاتهم إلى منتجات سلعية وخدمية، وتدفعهم إلى المزيد من البحث العلمي المجوّد، وتوفِّر لهم المتطلبات الأساسية من المعامل البحثية والمواد الخام وأسباب المعيشة لهم ولأسرهم.

---

(١) الأستاذان د/ إبراهيم بدران، د/ علي حبيش، تقرير حول التحديات العلمية التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن القادم وسُبُل مواجهتها، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٤١٢هـ، ص٥١.

المطلب الثالث:
التعصُّب والتطرف والانغلاق الفكري والثقافي والسلوكي

تقول العرب: تعصّب الرجل: أي تحمّس لرأيه وأصبح سريع الانفعال، فهو عَصَبيّ والعُصَاب: اضطراب نفسي أو عقلي، وتطرّف الرجل: أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسطّ، وغَلِقَ فلان غَلَقًا: ضاق صدره وقلّ صبره[1].

وكل من التعصب والتطرف والانغلاق الفكري، أمراض اجتماعية مؤدية حتمًا إلى الإرهاب، وتُعدّ في ذاتها من العوائق الذاتية الفردية والجماعية التي تعوق نمو وتطور وتقدُّم المجتمعات الإسلامية.

مدى تعارض التعصُّب والتطرف والانغلاق الفكري مع وسطية الإسلام:

غنيّ عن البيان أن دين الإسلام دين وسطي[2] يأمر أتباعه بالاعتدال والتوسُّط في الأقوال والأفعال والتصرفات، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي عدولًا لا يميلون عن الحق لا إلى غلوّ ولا إلى جفاء ولا يتجاوزون حدود الاعتدال، أو يخرجون عن طريق الاستقامة إلى طريق الغواية والضلال والتطرف والإرهاب، وذلك بما يلحق الضرر والأذى والعنت بأنفسهم أو بغيرهم من أفراد مجتمعاتهم، فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه[3]، والانخراط في هذه السلوكيات موصِّل إلى اتباع غير سبيل المؤمنين الذين توعّدهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) المعجم الوجيز، ص٤٥٣ مادة (غَلَقَ).

(٢) الوَسَط: المعتدل من كل شيء.

(٣) حديث شريف رواه الإمام مسلم تحت رقم (١٧٤١).

النتائج المرئية والمتوقّعة للتعصّب والتطرف والانغلاق الفكري:

يحدّثنا التاريخ الإسلامي بما شهده من فتن من بعض المنتسبين إلى الإسلام قديمًا عن فرقة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان وقتلوه وانشقوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكفَروا وكفّروا من يؤيده من صحابة رسول الله لخلافهم المذهبي مع عقيدتهم.

ويتلخص مذهب الخوارج القدامى في عدم الالتزام بالسُّنَّة والجماعة وطاعة ولي الأمر ويرون الخروج عليه من الدين[1] بالمخالفة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، وذلك فضلًا عن اعتمادهم لمنهج الإرهاب الفكري مع مخالفيهم، وهم لذلك يتشابهون مع الجماعات التكفيرية المعاصرة من تنظيم القاعدة وداعش والنصرة وبيت المقدِس وغيرهم من الجماعات المتفرعة عن جماعة الإخوان المسلمين، والتي تتخذ من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة قاعدة شرعية للقتل والتدبير وإزهاق أرواح الأبرياء وتكفير المخالفين لهم في الرأي أو في السلوك، وهذا المبدأ في حد ذاته يعتبر اجترارًا لفكر الخوارج المتقدمين.

دور القوى الخارجية في إزكاء فكر التعصُّب والتطرف والإرهاب بين شباب المسلمين:

لقد عرف العالم القديم منذ نشأة الحروب بين أفراده وجماعاته عددًا من أشكال الحروب منها:

١- حروب المواجهة المباشرة بين الجيوش في ساحات المعارك والقتال، باستخدام أدوات الخيل والرماح والسيوف.

٢- حروب المواجهة المباشرة بين الجيوش باستخدام أنواع السلاح التقليدية من بنادق ودبابات ومدافع وطائرات.

---

(١) د/ عبد السلام السحيمي، فكر الإرهاب والعنف «مصدره – أسبابه – علاجه»، بدون ناشر، ١٤٢٨هـ، ص٥١.

٣- الحروب المباشرة عن بُعد باستخدام القنابل الذرية وأسلحة الدمار الشامل البيولوجية والكيماوية.

٤- الحروب بالوكالة وهو الشكل الرابع من أشكال الحروب السائد في عصرنا، والذي يعتمد على تدمير العدو من داخله وبأيدي أبنائه دون مواجهة مباشرة من عدوه الحقيقي.

وتقوم حروب الجيل الرابع على تبني القوى العظمى لبعض جمعيات المجتمع المدني في الدولة التي تريد تفكيكها أو إعاقة نموها وتقدمها أو إظهارها في صورة الدولة الفاشلة غير القادرة على حماية أمنها الداخلي وسلامة مواطنيها تمهيدًا للتدخُّل في شئونها الداخلية واحتلالها سلميًا وتطويع سياساتها؛ حيث تتبنى القوى العظمى عددًا من العاطلين الذين يطلقون على أنفسهم ألقاب النشطاء السياسيين والنشطاء الحقوقيين، وتغدق عليهم الملايين من الدولارات، وتُجري لهم عمليات غسيل أدمغة وتزرع في عقولهم فكر التطرف والإرهاب، ثم تأمرهم في مراحل لاحقة بالقيام بسلاسل من التفجيرات والعمليات الإرهابية داخل دولهم، لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف التالية:

١- إسقاط الدولة الوطنية التي ينتمون إليها بجنسيتهم.

٢- تفكيك دولهم الوطنية إلى دويلات صغيرة متناحرة على الحدود.

٣- إفشال دولهم الوطنية وإظهارها أمام مواطنيها وأمام العالم بعجزها عن حماية أمنها الوطني وحماية مواطنيها ومرافقها العامة، تمهيدًا للتدخل الأجنبي السافر في شئونها الداخلية تحت ستار حمايتها.

٤- فإذا لم تنجح القوى الخارجية في تحقيق أحد هذه الأهداف الثلاثة، فإنها على الأقل تحقق هدفها الرابع في عرقة خطط التنمية والتقدُّم والازدهار بتوجيه الجانب الأكبر من دخلها القومي لمكافحة الإرهاب والتصدي للعمليات الإرهابية، وذلك حتى تستمر هذه الدولة على تخلفها، أو حتى تركع أمام مطالب وشروط القوى العظمى.

المبحث الثاني:
العوائق الخارجية وسُبُل الخلاص منها

تمهيد:

إذا كانت هناك عوائق ذاتية نابعة من داخل المجتمعات الإسلامية، تقف حائلًا دون تطور وتقدُّم العالم الإسلامي، فإن هناك عوائق خارجية وافدة على دول العالم الإسلامي من جانب قوى دولية أجنبية لا تريد التقدُّم والازدهار للعالم الإسلامي أو تتعارض مصالحها مع مصلحة العالم الإسلامي في التقدُّم والازدهار، حتى تبقى دول العالم الإسلامي سوقًا رائجة لمنتجاتها أو حتى يمكنها الحصول من العالم الإسلامي على عناصر الإنتاج الأوليَّة في صورة مواد خام مجردة من أية قيمة مضافة.

وسوف نركز من جملة هذه العوائق الخارجية على عائقين رئيسين نبحث كل عائق منهما في مطلب خاص وهما:

١- الغزو الثقافي الأجنبي.

٢- مخططات الهيمنة الخارجية وازدواجية المعايير الدولية.

المطلب الأول:
الغزو الثقافي الأجنبي

مفهوم الغزو الثقافي (الفكري):

تقول العرب: غَزَا العدو غَزْوًا: سار إلى قتاله، فهو غازٍ والجمع غُزاة، والغزوة هي: المرَّة من الغزو[1].

وعليه: فإن مصطلح الغزو من حيث الأصل يستخدم بمعنى القتال بالسلاح لقهر العدو والاستيلاء على ممتلكاته ومقدراته، لكنه نقل في الاستعمال من هذا الأصل إلى كل ما يتضمن التفوّق والغَلَبة على الآخر في كافة مجالات الحياة.

مراحل العلاقات الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي[2]:

من مُنطلق الرؤية التاريخية يمكننا إجمال العلاقات الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي في المراحل التالية:

(١) **المرحلة الأولى**: وهي مرحلة تأثير الحضارة الإسلامية في العالم الغربي الأوروبي في عصر ازدهارها على الصعيدين الديني والعلمي، عن طريق الأندلس وجزيرة صقلية؛ حيث أسهم «فريدريك الثاني» حاكم صقلية والذي نُصِّب قيصرًا عام ١٢٢٠م، وكان من عشّاق الحضارة الإسلامية بنصيب كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في أوروبا، وقد أنشأ جامعة نابولي وأهدى إليها وإلى جامعتي باريس وأكسفورد ترجمات لمؤلفات عربية، وقد تابع ابنه «مانفرد» جهود والده في تقديم ثمار الحضارة الإسلامية إلى الغرب، وخلال هذه المرحلة تمت أول ترجمة

---

(١) المعجم الوجيز، ص٤٥٠ مادة (غَزَا).

(٢) أ.د/ حمدي زقزوق، الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ص٥١ وما بعدها بتصرُّف.

لاتينية للقرآن الكريم عام ١١٤٣م، وقد أسهمت مؤلفات ابن سينا وابن رشد إسهامًا كبيرًا في انتشار حرية الفكر في هذه المرحلة[1].

(٢) **المرحلة الثانية**، وهي تبدأ تاريخيًا بالحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، وخلال هذه المرحلة تعرَّف الشرق العربي الإسلامي على الحضارة والثقافة الأوروبية الحديثة من عدة طُرُق منها:

أ- العلماء الأوروبيين الذين أحضرهم «نابليون بونابرت» معه إلى مصر.

ب- أول مطبعة لطباعة الكُتُب والصحف والمجلات والتي أنشأها «نابليون» في القاهرة.

جـ- تأسيس المجمع العلمي المصري بالقرب من ميدان التحرير بالقاهرة.

د- كتاب وصف مصر الذي تم تأليفه عن مصر أثناء الحملة الفرنسية، والذي أودعت نسخته الأصلية في المجمع العلمي المصري، والذي وللأسف الشديد تم إحراقه عندما أشعل الغوغائيون النار في المجمع العلمي خلال ثورة يناير ٢٠١١.

هـ- وخلال هذه المرحلة أيضًا أوفد «محمد علي باشا الألباني» والي مصر البعوث المصرية إلى فرنسا لدراسة العلوم المختلفة وكان من بينهم «رفاعة رافع الطهطاوي»، ويمكن القول: بأن الثقافة العربية الإسلامية قد تأثرت إلى حدّ ما بالثقافة الأوروبية خلال هذه المرحلة.

(٣) **المرحلة الثالثة**: وهي المرحلة التي يمكن تسميتها بمرحلة الاستشراق أو التبشير أو مرحلة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والتي تبدأ تقريبًا من بعد إعلان «كمال أتاتورك» زوال الخلافة العثمانية، والتي نشأت بعدها الدول القُطرية العربية والإسلامية.

---

(١) أ.د/ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربي بالقاهرة، ٢٠٠٣، ص١٣٠ وما بعدها بتصرُّف.

وقد كان للاستشراق أثر كبير في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام والمسلمين، وفي تشكيل مواقف الغرب الأوروبي من الإسلام والمسلمين، بل وفي الفكر الإسلامي الحديث إيجابًا وسلبًا، وقد كان للمدّ الاستعماري الأوروبي في العالَم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراساتهم الموجهة لخدمة الاستعمار.

ويمكن القول: إن جوانب الحياة في العالَم الإسلامي قد تأثرت وبدرجات متفاوتة بمنجزات الحضارة الأوروبية المادية، وأن العالم الإسلامي كانت له الكثير من التحفظات على الجوانب الثقافية من منجزات هذه الحضارة.

وخلال هذه المرحلة أخذ الغزو الثقافي تشتد وطأته على العالَم الإسلامي؛ حيث تمثَّل ذلك في:

١- تجنيد جيش كثيف من المبشّرين لتحويل المسلمين عن إيمانهم.

٢- ازدواج التعليم في الأقطار الإسلامية إلى ديني مهمّش ومدني تتوافر له جميع الإمكانات المادية، مع تفريغ التعليم المدني من الثقافة والمعرفة الإسلامية النافعة حتى يتخرَّج خريجوه وهم لا يدرون شيئًا طائلًا عن دينهم، فإذا تبوءوا المناصب العليا في دولهم كانوا مقطوعي الصلة بدنيهم.

٣- عزل اللغة العربية (لغة القرآن) عن تدريس العلوم التطبيقية التجريبية واعتماد اللغة الإنجليزية لغة رسمية لتدريس علوم الطب والصيدلة والهندسية والعلوم والحاسب الآلي، وغيرها من العلوم التي تدرس الكون والحياة.

٤- اعتماد اللغة العامية واللهجات الشاذة لغة للثقافة الجماهيرية في التليفزيون والإذاعة والصحف والمجلات والمسارح وأنواع الفنون.

٥- تحقير الشعر الجاهلي وشعراء الفصحى وتشجيع انتشار الشعر المنثور وشعر العامية والزجل والموّال.

٦- سجن الشريعة الإسلامية في حكم قضايا الأحوال الشخصية والميراث فقط وتحكيم القوانين الوضعية في جميع منازعات الحقوق العامة والخاصة.

٧- تحقير الالتزام بالأخلاق الإسلامية وبخاصة أخلاق العفاف والاحتشام والحياء والصدق والأمانة وغيرها تحت مزاعم حرية الفكر والإبداع.

٨- تزوير التاريخ الإنساني بإنكار فضل الحضارة والثقافة الإسلامية في تكوين ونشأة الحضارة الأوروبية الحديثة.

٩- استغلال المال في غسل مخ وأدمغة الأطفال اللُقطاء واليتامى واللاجئين من أبناء الدول الإسلامية الفقيرة الذين تحتضن الجمعيات التبشيرية تربيتهم تحت مزاعم الأعمال الإنسانية.

١٠- تجنيد سماسرة الغزو الثقافي من المثقفين المسلمين لنشر الأفكار المضللة بين بني جلدتهم عن دينهم وعن ثقافتهم والترويج للثقافة الأوروبية.

(٤) **المرحلة الرابعة**: وهي مرحلة العولمة الثقافية للحضارة الغربية، وهذه المرحلة هي الخطر الحقيقي على الثقافة الإسلامية، فالعولمة على حسب المفهوم الغربي ليست مجرد اتجاه نحو نقل أو نشر التقنيات الحديثة من مراكزها في العالم المتقدِّم إلى العالم الثالث المتخلِّف تكنولوجيًا لزيادة قدراته الإنتاجية وتحقيق الاكتفاء الذاتي لديه من الماء والغذاء والكساء والدواء، وإنما هي تحمل في طياتها تغييرًا جذريًا في القيم والثوابت والمبادئ والمعايير والعادات والتقاليد وأنماط السلوك وجميع أوجه الثقافة في العالم المتخلِّف وبخاصة في العالم الإسلامي الذي يستشعر الغرب بأنه الخطر الحقيقي عليه بما يتمسك من عقيدة وشريعة.

إن العولمة الثقافية تعني فرض الثقافة الغربية والنمط الغربي في الحياة باعتبارها الثقافة الوحيدة وباعتباره النمط الوحيد الذي يجب أن يسود العالم، وضرورة اختفاء أية ثقافات أخرى متخلِّفة عن قيادة العالم[1].

---

(١) راجع: أ.د/ محمد خليفة حسن، الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة، رابطة الجامعات الإسلامية، العدد الأول من سلسلة مركز الدراسات الحضارية، ص٨٨ وما بعدها بتصرُّف.

المطلب الثاني:
مخططات الهيمنة الخارجية وازدواجية المعايير الدولية

لعلّ من أبرز العوائق الخارجية التي تعوق نمو وتقدُّم وازدهار العالَم الإسلامي وتطوره ما يمكن أن نُطلق عليه مخططات الهيمنة الخارجية وازدواجية المعايير الدولية في التعامل مع قضاياه ومشكلاته الداخلية والدولية.

المعالم الرئيسة للواقع المعاصر في العالَم الإسلامي:

١- أنه بمعيار القدرة على توليد وإنتاج التكنولوجيا المتقدِّمة في فنون الإنتاج يندرج في صفوف الدول المتخلِّفة أو ما يُعرف بالعالَم الثالث.

٢- أنه وبمعيار الحاجة إلى استيراد مقومات حياته من الخارج يُعد من الدول المستوردة للغذاء والكساء والدواء والسلاح والآلات الميكانيكية وغيرها.

٣- أنه وبمعيار القدرة على التشغيل الكامل لعناصر الإنتاج المتاحة لديه يعتبر مصدرًا رئيسًا لتصدير المواد الخام على طبيعتها دون الحصول على أية قيمة مضافة.

٤- أنه وبمعيار حجم الاستهلاك يعتبر سوقًا رائجة لكافة صادرات الدول المتقدِّمة من السلع والخدمات بكافة أنواعها.

٥- أنه وبمعيار جودة التعليم المتاح لأبنائه يعتبر دولًا متخلِّفة.

وتأسيسًا على هذه المعالِم، فإن الدول الكبرى والمتقدِّمة تبنى خططها المستقبلية على إبقاء العالَم الإسلامي كما هو حتى تستولي على ثرواته ومقدرات حياته سلميًا وبلا قتال، وتصدر إلى أسواقه رديء منتجاتها الصناعية والزراعية، فلا هي تريد إفنائه والقضاء عليه، ولا هي تسمح له بنهضة صناعية حقيقية أو إنتاج ما يكفيه ذاتيًا.

والويل والثبور لأية دولة إسلامية تشذ عن هذا الوضع، وتحاول بناء قلعة صناعية أو زراعية حقيقية لديها، فإن في جُعْبَة وفي جراب الدول الكبرى الوسائل الكافية لإعادتها إلى وضعها السابق؛ حيث تمتلك الدول الكبرى تقارير حقوق الإنسان وهي الذريعة الرئيسة للتدخل في الشئون الداخلية للدولة الإسلامية المارقة؛ وحيث الفصل السابع من

ميثاق الأمم المتحدة سيفًا مشهرًا في وجه أية دولة إسلامية مارقة لتكوين تحالف دولي ضدها واحتلال أراضيها بالقوة؛ وحيث المعلومات الاستخباراتية بأن هذه الدولة الإسلامية تنتج أو تمتلك أسلحة الدمار الشامل، جاهزة لفرق التفتيش الدولية على أسلحة الدمار الشامل وتقديم التقارير المزورة والمسيَّسة؛ وحيث منظمات المجتمع المدني العملية والمدعومة من الدول الكبرى جاهزة لتسيير المظاهرات وإحداث الاضطرابات الداخلية وقلب نظام الحكم في هذه الدول المارقة؛ وحيث الحصار البحري والمقاطعة الدولية والعقوبات الاقتصادية وغيرها الكثير والكثير مما تحتوي عليه جُعْبَة وجراب الدول الكبرى من آليات وأدوات ووسائل الردع جاهزة للاستخدام ضد أية دولة إسلامية مارقة وتلك مخططات هيمنة وسيطرة خارجية مفروضة وبإحكام على الدول الإسلامية وضعت كبديل للحروب الصليبية التي هُزمت فيها أوروبا على يد العرب والمسلمين.

وبالإضافة إلى هذه المخططات فإن القوى العظمى والمنظمات الدولية الخاضعة لسيطرتها وهيمنتها تتعامل مع العرب والمسلمين بازدواجية مفضوحة للمعايير في القرارات الدولية، فيما يتصل بالشئون الداخلية والخارجية للدول الإسلامية على حد سواء.

فإسرائيل تمتلك رؤوسًا نووية وتطور صواريخ بالستية وتنتج أسلحة كيماوية وبيولوجية وتستخدم كل ذلك ضد الفلسطينيين وفي حروبها مع العرب المحيطين بها، ولا أحد في العالم يحرك ساكنًا ضدها والفيتو الأمريكي جاهز لحمايتها من مجلس الأمن الدولي، أما العراق فيتم تدميره واحتلاله وتسريح جيشه والقضاء على شرطته ونهب قصوره الرئاسية والاستيلاء على أرصدة بنكه المركزي من الذهب والعملات الأجنبية وتحميله فوق ذلك بمليارات الدولارات تكاليف للحرب الظالمة التي شُنَّت عليه، وذبح رئيسه السابق في يوم عيد الأضحى، وكل ذلك لمجرد وجود معلومات استخباراتية مكذوبة ومغلوطة وملفقة لدى المخابرات الأمريكية بأنه يملك أو ينتج أسلحة دمار شامل، اعترفت الولايات المتحدة فيما بعد بعدم وجودها وبخطأ هذه

المعلومات، والعالم الحُرّ المتقدِّم المتمدين يهزّ أكتافه ولا حياة أو حياء له، وهذا نموذج واحد من عشـرات النماذج الواقعية بعد نشـأة الأمم المتحدة في الخمسـينات من القرن الماضـي في التعامل بمبدأ ازدواجية المعايير في القرارات والمواقف الدولية في التعامل مع قضايا ومشكلات الدول الإسلامية الداخلية والدولية.

الفصل الثالث:
وسائل التغيير والانطلاق إلى عالم إسلامي متحضِّر

تمهيد:

مما لا شك فيه أن الانهيار الذي عرض لأمتنا الإسلامية في العصور الأخيرة يرجع في جانب منه إلى أسباب علمية وثقافية، ويرجع في جانب آخر منه إلى فقدان التربية الراشدة الناضجة للشباب القادر على إحداث النهضة، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ويقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقديمًا قالوا: «دوام الحال من المحال».

والعالَم الإسلامي يملك الكثير من وسائل وأدوات وآليات تغيير واقعه من التخلُّف إلى التقدُّم، بشرط واحد هو: الإقبال على الدنيا بعزيمة وصبر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت، ولا يصرّفه الآخرون وفق هواهم، وأن تحتفظ دوله بحرية الحركة لقاء ما تواجهه كل منها من شئون كريهة، نعم إننا قادرون على فعل الكثير دون انتظار أمدادٍ خارجية تساعدنا على ما نريد، إننا بقوانا الذاتية الكامنة، وملكاتنا الرائدة والفرص المتاحة أمامنا نستطيع أن نبني حياتنا ومستقبلنا، من جديد، والله ﷻ يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]، وسوف نرى في هذا الفصل عددًا من وسائل التغيير المنشود نورده لا على سبيل الحصر بل على سبيل المثال:

المبحث الأول:
تجديـد الفكـر الإسلامـي

توطئة:

إننا لا نقصـد بالتجديد هنا تدمير التراث الإسـلامي وإهالة التراب عليه، وإنما نقصـد بالتجديد مخاطبة الناس بأسـلوب عصـرهم، وتخليص ما علق بالفكر الإسـلامي من إفراط أو تفريط فيما يتصـل بحقوق الله ﷻ وحقوق والتزامات الآدميين بعضـهم مع بعض، مع الالتزام بالضـوابط والآداب والمُثُل والقيم والثوابت الشـرعية في العلاقات الاجتماعية سـواء على نطاق الأسـرة أو على نطاق المجتمع، وذلك في ظل مبادئ قبول واحترام الآخر واحترام الكرامة الإنسانية.

ويرى الباحث أن التجديد في الفكر الإسـلامي على النحو السـابق بيانه يُعد أحد وسائل التغيير والانطلاق بالأمة الإسلامية إلى عالم إسلامي متحضِّر.

وعلى نحو ما ورد بخطة البحث وهيكله فإن هذا المبحث سـوف يتفرَّع إلى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول:
مخاطر الجمود الفكري والتقليد غير المستنير

يؤدي الجمود الفكري إلى جُملة من المخاطر الجمّة على رأسها وفي أولوياتها تعطيل العقل عن تدبُّر آيات الله والتفكير في الكون والحياة، وفي تفسر أحداث الحياة ومجريات الأمور، وفي اختراع وابتكار آليات وأدوات التقدُّم والرقي والازدهار، والمشرِّع الإسلامي الحكيم يعتبر العقل أمانة أودعها لدى الإنسان وميَّزه بها عن سائر كائنات الوجود، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وأمره برعايتها وتنميتها وتدريبها على التفكير السليم المتوازن، ونهاه عن خيانتها بإهمالها وتعطيلها عن التفكير والتدبر والتعقل لظواهر الأمور وبواطنها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المعارج: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

فالعقل لدى الإنسان أمانة، وإعماله في التدبر والتعقُّل والتفكير واجب شرعي والتزام ألزم به الإنسان نفسه يوم أن قَبِلَ تحمُّل هذه الأمانة وتجميد العقل وتعطيله عن أداء الدور الذي خلقه الله لأدائه خيانة لهذه الأمانة، وآيات القرآن الكريم الدالة على لزوم ووجوب إعمال العقل، ووجوه هذا الإعمال تبلغ حد الكثرة بالنسبة لغيرها، وتشمل الفكر بجميع أشكاله ودرجاته، وفيما يلي قبسًا من آيات القرآن الكريم في هذا الشأن:

أولًا: آيات التدبُّر[1] والتأمل والنظر:

١- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

٢- قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

٣- قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) دبَّر الأمر: ساسه ونظر في عاقبته، وتدبَّر الأمر: نظر فيه وفكّر.

ثانيًا: آيات التذكّر[1] والاستحضار الذهني:

١- قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥].

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩].

٣- قال تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٤- قال تعالى: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

ثالثًا: آيات المعرفة[2] والإدراك الحسّي:

١- قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [النمل: ٩٣].

٢- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٣- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩].

رابعًا: آيات العلم[3] والمعرفة:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْـًٔا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ [الجاثية: ٩].

٢- قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

٣- قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

خامسًا: آيات التعقُّل[4] وإدراك حقائق الأمور:

١- قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

٢- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) تذكَّر الأمر: جرى على لسانه بعد نسيان واستحضره في ذهنه، واستذكر الشيء: ذكره.

(٢) عَرَف الشيء عرفانًا ومعرفة: أدركه بحاسّة من حواسّه.

(٣) عَلِمَ فلان الشيء علمًا أي عَرَفه وأتقنه.

(٤) عَقَلَ عقلًا: أدرك الأشياء على حقيقتها.

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢].

سادسًا: آيات الفِكر[1] وإعمال العقل:

١- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨].

٢- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٣- قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

سابعًا: آيات الفقه[2] والفهم وحسن الإدراك:

١- قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

٢- قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧].

٣- قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

فإن ما تقدَّم من آيات الذكر الحكيم مجرد أمثلة ونماذج لآيات القرآن الكريم التي دعت المسلمين إلى إعمال العقل بجميع أشكال الفكر ودرجاته، والتي نعت على المعطّلين لعقولهم جمودهم الفكري وتوقفهم عن التدبُّر في عواقب أمورهم ومُجمل هذه الآيات البينات يرشد إلى أن الأساس المتين لنهضة المسلمين وقيادتهم لركب الحضارة والتقدُّم في العالم المحيط بهم في جميع الأوقات باعتبارهم خير أمة أخرجت للناس، إنما يكمن في استعمال عقولهم ونبذهم لبلادة الذهن واللجوء إلى غير قوة العقل وقوّة الوحي في تفسير وفهم أحداث الحياة وتحليلها وربط أسبابها بنتائجها وفق منهج علمي ثابت ومدروس.

وإن المرء ليصاب بالقرف والغثيان عندما يجد على شاشات القنوات الفضائية شاشات تعالج بالقرآن الكريم أمراض السحر والربط والحسد والعين عن طريق الشعوذة والدخل والخرافات والتفسير الغيبي للأحداث، وعندما يفاجأ بأن حياة المسلمين قد

---

(١) فِكّر في الأمر: أعمل العقل فيه، ورتّب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول لم يكن يعلمه.

(٢) فَقِهَ الأمر فقهًا، أحسن إدراكه وفهمه وتفطّنه.

امتلأت بهذه الخرافات والخزعبلات، والقرآن الكريم لم ينزل لكي تعلِّقه النساء على صدورهن، أو لكي يوضع تحت وسادات النوم على الأسرَّة، أو لكي تزيَّن به الحوائط والمكتبات أو لكي يُرقى به المرضى من أمراض الحمى والزكام ومسّ الشياطين والجان، وإنما نزل لكي يُعمل بأحكامه لكي يكون كتاب هداية ومنهج للحياة.

وقد يقول قائل: إن الرّقي بالقرآن الكريم من العيْن والمسّ جزء من ثقافة بعض المجتمعات الإسلامية، ولو راجع هذا القائل آيات القرآن الكريم ما قال بهذه المقولة، فإن القرآن الكريم قد نعى على القائلين بها بقوله:

١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: ١٧٠].

٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة: ١٠٤].

٣- ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨].

٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾ [لقمان: ٢١].

٥- ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢﴾ [الزخرف: ٢٢].

ألا إن القرآن الكريم في الكثير من آياته البينات نعى على القوم المقلّدين لغيرهم تقليدًا غير مستنير هذا السلوك السلبي الذي لا يدل إلَّا على وَهَنهم واستكانتهم وعجزهم عن إعمال عقولهم وجمودهم الفكري الذي يزول معه أي أمل أو رجاء للتقدُّم والرقيّ.

المطلب الثاني:
ثوابت الهويّة الإسلامية

توطئة:

تعني كلمة الهويّة: منظومة أو مجموعة السمات والخصائص العقدية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية التي تشكّل شخصية المسلم وتميّزه عن غيره من أتباع الديانات الأخرى.

والحفاظ على ثوابت الهوية العقدية والشرعية والأخلاقية الإسلامية بمضامينها الحقيقية السمحة البسيطة البعيدة عن التطرف والتعصب والتشرذم والانكفاء على الذات والانعزالية عن الآخرين واحترامهم والتفاعل معهم أخذًا وإعطاءً يعتبر من وجهة نظر الباحث شرطًا جوهريًا لانطلاق المسلمين إلى عالم جديد متحضِّر.

إذ لا معنى للتقدُّم الحضاري في حضارة يتخلّى أبناؤها وصانعوها عن قيم العدل والمساواة والإخاء والتكافل والتراحم وحفظ الحقوق ونصرة المظلوم والصدق والأمانة والوفاء والكسب الحلال واجتناب المنكرات والإيمان المطلق بالإله الواحد الأحد وغير ذلك من الثوابت والقيم والمُثُل.

الحفاظ على الهوية كشرط جوهري للتجديد والتطوير:

ولا يمكن لأي فكر تجديدي ينتمي إلى شريعة الإسلام أن ينادي بالتجديد دون اشتراط الحفاظ على ثوابت الهوية الإسلامية، وإلَّا كان هذا التجديد انحرافًا فاسدًا واجتهادًا باطلًا وضلالًا وإضلالًا عن مبادئ وقواعد وأحكام الشريعة الإسلامية، وأمرًا بالمنكر وصدًّا عن المعروف وكانت عاقبته متمثلة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

إننا ونحن نتحدث عن الانطلاق والتجديد والتحضُّر يجب علينا أن نتذكر دائمًا أن الإسلام يقيم منهجًا للحياة لا تستقيم أمور المسلمين بتجاهله، وإذا بعدنا عنه فشلنا؛ لأنه أصبح ركنًا ركينًا من حياتنا وثقافتنا، وأنه يجب علينا أن نعضّ بالنواجز على ما جاء

في القرآن والسُّـنَّة من مقومات هذا المنهج، وأن نركِّز على الجانب العملي السـلوكي من العقيدة والشـريعة فضـلًا عن جوانبهما العلمية؛ لأنهما هما اللذان أخرجا للعالَم أمة قوية متحضِّرة ذات أخلاق وقيم ومُثُل[1].

وإنَّ ما يميز الإسـلام والحضـارة الإسـلامية هو الجانب المعنوي فيهما، وهو الجانب الذي يخاطب الروح والقلب والنفس والوجدان لهدايتهم إلى صـراط العزيز الحميد، وليصـرف عنهم رذائل الطمع والجشـع والشـحّ والأنانية والأَثَرة وحُبّ الذات والذي يجب ألَّا ينساه مسلموا العصر هو أن أسلافهم قد انبعثوا في بناء حضارتهم من قيم وثوابت دينهم وفضـائله، لا من حدود أنفسـهم وشـهواتهم وأنهم إنما فتحوا بلاد العالم الآخر وهم يحملون السـلاح في أيديهم والأخلاق والمكارم في عقولهم وقلوبهم، فكان سلاحهم يقف عند حدود أخلاقهم.

نعم لقد صـنع النبي محمد ﷺ أمة طبيعية بفطرتها، كأن عملها في الحياة إيجاد الأفكار العملية الصحيحة التي يسير بها وعليها العالم من حولهم[2].

إنَّ على مسـلمي العصـر أن يدركوا أنهم أصـحاب رسـالة وحاملوا دعوة لهداية الناس جميعًا إلى معرفة الإله الواحد ومعرفة حلال شـريعته وحرامها، وأنهم يسـعون إلى بث ونشـر قيم عُليا في حياة البشـر تحترم حياة الإنسـان وإنسـانيته وكرامته وتحترم العدل والإنصـاف عند التعامل معه، وتحترم الأخذ على يد الظالم ونصـرة المظلوم وتحترم التراحم والتكافل بين البشـر، ولا تجعل من حيازة القوة العسـكرية المعيار الأوحد للتعامل مع الآخر، وإنما تحوزها للدفاع عن نفسها من بغي الآخرين عليها.

نعم إنَّ الأمة الإسـلامية اليوم في أشـد الاحتياج إلى التجديد والتطوير والبناء والرقي والتقدُّم في كافة نواحي الحياة، تجديد الفكر والثقافة والعِلم والسـلوك وبذل

---

(١) أ.د/ جعفر عبد السـلام علي، التجديد في الفكر الإسـلامي، الكتاب رقم ٢٢ من سـلسـلة فكر المواجهة الصادرة عن رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٣٧.

(٢) الكاتب والأديب/ مصـطفى صـادق الرافعي، وحي القلم، مكتبة الإيمان بالمنصـورة، مصـر، ص١٢ وما بعد بتصرُّف.

الجهد والطاقة في سبيل تحقيق هذا الهدف، مع مراعاة الشرط الجوهري الذي وضعناه لذلك وهو: الحفاظ على الهويّة الإسلامية.

المطلب الثالث:
أساليب ومجالات تجديد الفكر

تمهيد:

إننا لا نقصد مُطلقًا بتجديد الفكر الإسلامي، دفن التراث الفقهي الإسلامي وإهالة التراب عليه وقطع صلة الحياة المعاصرة بما ورد فيه من أحكام اجتهادية فإن التراث باعتباره مجموعة الأسس والمبادئ والمقومات والقواعد العلمية والثقافية والسلوكية والأخلاقية والمعلوماتية والفكرية والفلسفية والدينية التي عاشت عليها الأمة مئات السنين وهي تقود ركب الحضارة العالمية لا يمكن تجاهله، والدعوة إلى إهداره، وإخفاء آثاره درب من دروب المجون والخبال والعبث والجنون؛ لأن هذا التراث هو الذي يحدد هويَّة الأمة ويبين سماتها المميزة لها بين الأمم الأخرى.

وإنما نقصد بتجديد الفكر الإسلامي، بعث التراث من جديد، واستدعائه لربط حاضر الأمة بماضيها، والتنظير والتنظيم الجيد لتطورها، وتخليص الأمة مما علق بفكرها الحديث من انحطاط وأباطيل، إننا نقصد به إحياء دور العقل وإعادته إلى سابق عهده بفهمه لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، بعد أن أقفلت قلوب الكثيرين من نحوهما على نحو ما جاء في التنزيل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

أساليب ومجالات مقترحة لتجديد الفكر الإسلامي:

١- الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية في مستجدات حياة المسلمين، فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سُنَّة أو إجماع، ولم يرد فيه اجتهاد سابق من أئمة وعلماء الأمة الثقات، وذلك عن طريق القياس وممن تتوفر فيهم شروط الاجتهاد من العلماء المحدثين لا من الغوغائيين غير المتخصصين، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية تغيُّر الأحكام بتغيُّر مكان وزمان وظروف معيشة المسلم المخاطَب بتنفيذ الحكم الجديد المستنبَط[1].

(١) الدكتور الشيخ/ محمد الخضري، أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ص٢٤٥، ٢٨٨.

٢- إمكانية تقنين أحكام الفقه الإسلامي الراجحة في مختلف مذاهب أهل السُّنَّة الأربعة في قالب قواعد آمرة لا يجوز الاتفاق بين الأفراد على مخالفتها وإضفاء القوة الإلزامية المدعومة بسلطان الدولة عليها والعمل بمقتضاها أمام القضاء[1].

٣- تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر بكافة صوره (الكلامية، الكتابية، الإعلامية) ومن كافة الأجهزة والمؤسسات المنوطة به (المدارس، الجامعات، الإذاعة، التليفزيون، القنوات الفضائية، الصحف، المجلات، وسائل التواصل الاجتماعي، المواقع الإلكترونية، منابر المساجد، المراكز الثقافية) وينبغي أن يركِّز التجديد على الجوانب التالية:

أ- تنمية الولاء والانتماء للدولة.

ب- المحافظة على الدولة الوطنية وعلى وحدتها وأمنها واستقرارها.

جـ- قبول واحترام الآخر المخالِف والتعايش السلمي معه.

د- نبذ فكر التعصُّب والتطرّف والإرهاب.

هـ- نشر روح التسامح والمحبة.

و- إحياء القيم والثوابت والعادات الاجتماعية.

٤- المواجهة المستنيرة لأزمات التنوير الزائف المناقض للموروث الثقافي الإسلامي، وعلى الأخص منها: فرض ثقافة العولمة، التقليد الأعمى للغير، غياب الوعي الديني لدى الشباب، ندرة القدوة الصالحة أمام الشباب، الإفراط في الاستهلاك الترفي، تزايد إقبال الشباب على المخدرات وأنواع المسكرات الأخرى، المثلية الجنسية، المصاحبة بين الشباب والفتيات، إلى غير ذلك من تفانين العفن الخلقي.

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، الفقه الإسلامي - نشأته وتطوره، معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٨هـ، ص١٤١ وما بعدها بتصرُّف.

المبحث الثاني:
الوفاء للدين والتراث واللغة والهوية

تمهيد:

إن البون شاسع بين الإسلام الذي انتصر في سالف عصره، وبين الإسلام الذي ينصرف اليوم عنه بعض بنوه، وإن مثار العجب في ذلك أن الأصول العلمية لهذا الدين لا تزال واحدة، إذ القرآن هو القرآن والسُّنَّة هي السُّنَّة لم يتغير شيء منهما، فما هو السرّ الذي جعل التدين في نفوس كثير من المسلمين معتلًّا، ولعل الجواب يكمن في مجرد اتهام المسلمين المعتلّين دينيًا المتخلفين حضاريًا بأنهم هم العصاة الذين لا ينفذون وصايا دينهم في مناحي حياتهم، وعدم الأخذ على أيديهم.

ألا وإن العليل الذي يرفض تناول الدواء، لو قتلته علته، فلا لوم على طبّ ولا على دواء، بل اللوم على من ظلم نفسه وانتحر، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

ألا وإن الباحث في هذا المبحث وهو يتناول وسائل التغيير والانطلاق إلى عالم إسلامي متحضِّر، وهو يعتبر أن الوفاء للدين والتراث واللغة والهوية من طليعة هذه الوسائل سوف يقسِّم هذا المبحث إلى المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول:
مستقبَل المسلمين رهن بالوفاء لدينهم

لقد كان يومًا أسودًا حالِك السّواد على الإسلام والمسلمين، يوم أن أعلن القائد العثماني التركي «كمال أتاتورك» دفن الخلافة العثمانية المعتلّة وإهالة التراب على وجهها الكالح، وأهان بفعلته هذه الرسالة الإسلامية وأعلن البُعد عنها وطوى صفحة الوجود الدولي للإسلام على الساحة الدولية، ومحا شارته العالمية وجعل الأمة تحيا بلا كافل يكفل وجودها عالميًا، وقطع العروة الوثقى التي كانت تربط مسلمي المشارق بمسلمي المغارب.

ومنذ هذا اليوم أخذت الأديان الأخرى تُلَمْلِمُ شملها وتجمع شتاتها، فها هي المسيحية الكاثوليكية تتجمع وراء بابا روما وتنشئ دولة الفاتيكان عاصمة دينية وروحية لها، وها هي المسيحية البروتستانتية تتجمع خلف مجلس الكنائس العالمي، وها هي المسيحية الأرثوذكسية تنشئ بابوية عالمية خاصة بها، وها هي الصهيونية اليهودية تنشئ مجلسًا صهيونيًا عالميًا ليقيم كيانًا لليهود في فلسطين بوعد من وزير خارجية بريطانيا المحتلة لفلسطين تحت مسمى «وعد بلفور» المشئوم.

الإسلام غريب القانون الدولي:

أما الإسلام فقد أصبح الديانة السماوية الوحيدة التي حُظر على أهلها إقامة كيان سياسي لهم يجمع شتاتهم والذي حورِب تراثه الفقهي ولغته وهويته وراح خصومه من المستشرقين والمبشّرين وسماسرة الغزو الثقافي لدياره، يروّجون لأكذوبة أنه السبب الرئيسي وراء تخلُّف المسلمين في العصر الحاضر، وتكالب الاستعمار الأوروبي بعد زوال الخلافة العثمانية التركية المريضة، على تمزيق دياره وتقسيمها فيما بينه وبين بعضه، وتفتت الكيان الواحد إلى بضع وخمسين قطرًا، ورسم الاستعمار الأوروبي الحدود السياسية الفاصلة بين الأقطار الإسلامية بطريقة تثير النزاعات والحروب المسلحة على الحدود فيما بين هذه الأقطار.

وما تزال غارات الاستعمار الأوروبي والمتحالفين معه تشّن بانتظام على القرآن والسُّنة، على وحدانية الله وشخص النبي محمد ﷺ، على أركان الإسلام وشُعب الإيمان، على التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية العطرة، على اللغة العربية والهوية الإسلامية وكل ما يمتّ للإسلام بصلة قريبة أو بعيدة.

وشرعت الأمة الإسلامية اليتيمة تجابه حرب الاستئصال فرادى وجماعات وحرب الخيانة وحرب الختل[1] واشترك في ضربها الصليبيون والوثنيون والملاحدة واليهود والشيوعيون والمستشرقون والمبشّرون وسماسرة الغزو الثقافي، وتكالبت عليها الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها، وصدق رسول الله ﷺ في نبوءته إذ يقول: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[2].

وما زال المهاجمون للإسلام والمسلمين مصرّون على الحنث العظيم، يهدرون حقوق كل مسلم ويرخصّون دمه ويحرمونه وذريته من حق الحياة ومن كرامة العيش، ومسلموا الروهينجا في ميانمار اليوم أحدث شاهد على ذلك، وما زال حنق العالم أجمع ينصبّ على رأس الإسلام ونبي الإسلام، ودُعاة الإسلام، وإن استتر تحت عناوين إعلامية خدّاعة وكلمات نفقات برّاقة، ومزاعم كاذبة عن حُريَّة الرأي والتعبير.

واللوم كل اللّوم لا على المهاجمين وضراوتهم وتنوّع أسلحتهم، وإنما يقع على المدافعين عن الإسلام وسذاجتهم وبلادتهم واستكانتهم، والخلاص من ذلك كله إنما يكمن في ولاء الأمة ووفائها لربها ونبيها ودينها وتراثها ولغتها وهويّتها.

---

(١) خَتَلَهُ خَتْلًا وخَتَلانا: خدعه عن غفلة، وختله في الحرب: داوره وطلبه من حيث لا يشعر.

(٢) الغثاء: ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء التي على وجه الأرض.

المطلب الثاني:
أثر تراث الأمة في بعث نهضتها

تمهيد:

يطلق التراث في اللغة على معنيين، يطلق على الإرث وهو كل ما يرثه الوارث من مورثه، يقال: ورث فلان المال يرثه ورْثًا وإرثًا ووراثة، كما يطلق التراث كذلك على القيم الإنسانية المتوارثة[1].

أما في اصطلاح علماء الاجتماع فيطلق على: جملة ما عاشت عليه الأمة من معلومات وأفكار ونُظم وفلسفات وأديان وعادات وتقاليد وقيم وثوابت، ثم اشتهر استعمال هذا المصطلح في إطلاقه على ما صنّفه وألَّفه علماء المسلمين من كُتُب ومؤلَّفات في الفقه وأصوله، وفي التفسير، وعلوم القرآن، وفي الحديث وعلومه، وفي التاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، وكافة المصنّفات والكُتب الشارحة لأصول الدين.

أثر التراث الإسلامي في تشكيل عقلية وثقافة المسلمين:

لقد ورثت الأمة عن كتاب ربها وعن سُنَّة نبيّها وعن سلفها الصالح وعن فقهائها وعلمائها قيمًا وثوابت وأفكار ونظم وفلسفات وعادات وتقاليد ومصنفات علمية ضربت جذورها في فكر الأمة وما زال تأثيرها واضحًا في تكوين عقليتها وعقيدتها وهويتها الثقافية، وفي تقوية الروابط التاريخية بين شعوبها.

أثر القرآن الكريم في حفظ وتقوية تراث الأمة الإسلامية:

لقد اشتملت الكثير من آيات القرآن الكريم على أقوى المؤثرات المحددة لهويّة الأمة الإسلامية وتمييزها عن سائر الأمم وربطها بخالقها وبدينها وإشعارها بوحدتها، ومن الآيات الكريمات الدالة على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) المعجم الوجيز، ص٦٦٤، مادة (وَرِثَ) مرجع سابق.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣- قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فساد الأمم كما يصوره القرآن الكريم:

لقد نعَتَ القرآن الكريم الأمم الفاسدة بنعوت واحدة تنحصر في جملتها فيما يلي:

١- اقتراف[1] محارم الله، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].

٢- الاستهانة بحدود الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

٣- محادة الله ورسوله[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢٠].

٤- المجاهرة بارتكاب المعاصي والمنكرات على نحو ما فعل المؤتفكة في مدائن قوم لوط، وما يدعو إليه الملحدون في عصرنا من زواج المثليين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٧٠].

٥- الإلحاد في الدين[3] بالطعن فيه بالباطل وقذفه بما ليس فيه من الطعون. ونحن اليوم نُبصر أقوامًا من المسلمين شاهت طباعهم، يظنون سعة الثقافة في سرعة الإلحاد، ويرون حرية الفكر في قذف الدين بكل سيئة وعيب وشائنة ويعتقدون أن تقدُّم

---

(١) اقترف الحسنة أو السيئة: عملها وارتكبها.

(٢) حادَ عن الشيء حَيْدًا وحيدة: مال عنه وانصرف وعاداه، والمحادّة: المعاداة.

(٣) ألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، وألحد في الدين: طعن فيه بالباطل ومال عنه، والجمع: ملحدون وملاحدة.

المسلمين يرتبط باستمرار الشهوات والبُعد عن فرائض الله، ونسمع هؤلاء العلوج[1] وهم يفترون على الله الكذب ويزعمون أن الإسلام هو سبب تخلُّف المسلمين، وأن التراث الفقهي والفكري الإسلامي مليء بالخرافات والإسرائيليات ومدسوس على صحيح الدين.

ويرى الباحث: أن المجتمعات التي تصل أوضاعها الدينية والثقافية إلى هذا الدَرَك الأسفل من الانحطاط الفكري والفساد الخُلُقي، لا بُدّ وأن تحل بها عقوبة الله، الواردة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧]، وما تقوم لأهل هذه المجتمعات عند الله حُجَّة، أو ينهض لهم عذر، فإن مثل هذه الأنواع من العصيان لأوامر الله، والإهدار لحدوده والإلحاد في دينه هي التي نزلت آيات القرآن الكريم بأعنف أساليب الترهيب منها، ووصفت بإيضاح وجلاء مصائر الأمم التي رتعت فيها، وهي مصائر مشئومة يكتنفها ويعلوها الخراب والدمار والهلاك.

ألا وإن التجديد الذي ننشده وننادي به في تراثنا الإسلامي الخالد والذي نأمل فيه أن يربط ماضي الأمة بحاضرها وأن يكون تنظيرًا لمستقبلها، يتمثل في بعث وإحياء ما اندثر من معالم هذا التراث، وإعادة الأمة إلى جذورها حال اجتهاد فقهاؤها المعاصرون في استنباط الأحكام الشرعية لحكم ما استجد في حياة الأمة من مستجدات ومتغيرات، فإن من شأن إحياء التراث الإسلامي إعادة الأمة إلى صحيح دينها، وإحياء دور العقل في حياة أبنائها وذلك حين يتم التعانق بين العقل والنقل.

---

(١) العِلْج: كل جاف شديد من الرجال والنساء، والجمع: عُلُوجٌ وأعلاج.

المطلب الثالث:
التطور الإسلامي بين التراث والحداثة

توطئة:

لتطور الأمم قوانين كونية ذات قواعد مرعية، ولن تبلغ أمة من الأمم مرحلة التطور والازدهار والتحضُّر والرُّقي والكمال الإنساني إلَّا إذا استوعبت هذه القوانين والقواعد فقهًا وأداءً، ثم انتقلت بها من طورها النظري المعرفي إلى طور الإجادة والتبريز، وعلى سبيل المثال: فإن قيادة السيارة لها قوانين وقواعد، وكثير من الناس يعرفون القيادة ويقدرون على ممارستها، لكن البراعة التي تدفع بصاحبها إلى المشاركة في سباقات السيارات العالمية لا تُتاح إلَّا لنفر قليل جدًا من السائقين؛ وبالمثل: فإن قوانين التطور الكونية ليست فقط علمًا نظريًا يدرس في المدارس والجامعات وإنما هي شأو بعيد المنال يستعصي على الأمم التي تتنكر لماضيها ولا تستشرق مستقبلها، وتضع الحواجز بين تراثها وحداثتها.

وفي هذا المطلب سوف نرى أن الحداثة والتطور لا يعني مطلقًا قطع الصلة بالتراث الحضاري المتغلغل في ضمير الأمة، ثقافة عاشت فيها وبها مئات السنين وسادت بها الدنيا جميعًا.

الأمم بين رغبتها في العيش الكريم وتعثرها في الأخذ بأسبابه:

لقد وجدت على خريطة الوجود أمم قهرت المستحيل، ورفضت الخنوع لغيرها، ولم تعط الدنية من نفسها، وتحملت بشجاعة وإقدام أعباء الحياة الحرة الكريمة، ولم تنكص على أعقابها في ساحات الجهاد والتضحية، ولم تخش عواقب الجرأة والمخاطرة وأخذت بزمام العلوم والمعارف، فبنت حضارات وسادت الدنيا كلها بالعلم والعزم والوحدة الوطنية والقيادات الرشيدة.

وهناك أمم أخرى عاشت واهنة القوى، ساقطة المستوى، ربما كانت لها حضارات طال عليها الأمد، وانقطع بها الزمن، وأدبرت عنها الحياة، وعاشت شيخوختها العاثرة تذكر ماضيها فترجو، ويلحقها حاضرها فتكبو، وعاشت حاضرها بين رغبتها في

العيش الكريم وبين تعثرها في الأخذ بأسبابه، تواجه الدنيا بأمانيها ويواجهها القدر بدروسه، وتنزل إلى ميدان الحياة برغائبها المجردة فيفاجؤها الميدان بعقباته وصعوباته ومتاهاته.

لماذا تموت الأمم وتنهار الحضارات؟

إننا إذا تساءلنا لماذا تموت الأمم وتنهار الحضارات فسوف نجد أن تراثنا الثقافي الإسلامي يزوّدنا بإجابات كثيرة وعظات متنوعة نذكر منها:

١- تموت الأمم إذا ماتت فيها المواهب الإنسانية العليا وارتكست فيها الملكات الذكية اليقظة.

٢- تموت الأمم وتنهار الحضارات عندما ينكل أبناؤها عن حمل أعباء الحياة الحرة الكريمة وينكصون عن الإقدام في ساحات الجهاد والتضحية.

٣- تموت الأمم عندما تنحصر آليات تحقيق طموحاتها في كتابات تملأ الصحف أو مظاهرات تسيل بها الميادين أو أكفًّا يعييها التصفيق، أو مشروعات يكتفي في بنائها بوضع حجر الأساس.

٤- تموت الأمم عندما تسلّم وتلين وتغرى الأخرين بالبغي والعدوان عليها.

٥- تموت الأمم عندما تصاب بجرثومة التفسّخ والانقسام الداخلي والتناحر على السلطة.

٦- تموت الأمم عندما تتخلى طواعية عن قيمها وثوابتها الاجتماعية والحضارية وتتغير طبائع وأحوال أبنائها إلى أرذل الأخلاق والأعمال.

٧- تموت الأمم عندما تتحول لدى أبنائها غريزة الطعام إلى شَرَه وبطْنة، وغريزة النكاح إلى زنى وسفاح، وغريزة الادخار إلى طمع وشُحّ وسرقة واختلاس وغريزة حب الظهور والسيطرة إلى خيلاء وكبْر واستبداد وغريزة الغضب إلى جنون وسفك دماء وغريزة السرور والضحك إلى مجون، وغريزة حب الاستطلاع إلى تجسس وبحث دنيء عن عيوب الناس.

مخاطر إهمال التراث أثناء البحث عن الحداثة والتقدُّم:

لقد نبغ في علوم الدين وفنون الأدب في عصـور الاجتهاد الفقهي وتراكم التراث جم غفير من العرب والأعاجم المُجيدين للغة العربية الضـليعين في آدابها، الخبراء بأسـرارها البلاغية والنحوية، وخدموا الإسـلام خدمة راشـدة واعية مسـتهدين في ذلك بكتاب الله وسنة رسوله، ولرسوخهم في العلم وقدرتهم على الاجتهاد والاستنباط، تركوا من بعدهم تراثًا عظيمًا من العلم والمعرفة كما ترك هؤلاء العلماء الأئمة الأعلام من خلفهم خلق لا يحصى عددهم من أجناس وأعراق شتى، أسلموا وحسُن إسلامهم، وحسـنت عقائدهم وأعمالهم، إلَّا أن عجزهم عن فقه الإسـلام من ينبوعيه ومصـدريه (القرآن والسُّنَّة) يشوب إسلامهم بالقصور عن الاجتهاد وفقه الدين، وهم في أشد الحاجة إلى من ينقل لهم معاني القرآن ومن يشرح لهم هديّ النبوة ومن يقدِّم لهم أحكام الشريعة صحيحة ميسورة حتى لا يتخبطوا في امتثالهم للدين الذي ينتسبون إليه.

ونحن اليوم إذ نعيش في عصر الغزو الثقافي الأورو أمريكي للمجتمعات الإسلامية وتتقاذفنا تيارات متدافعة، غايتها الكبرى حلّ عُرى الدين وصـرف النفوس والأفكار عنه، وتكوين أجيال تتهجّم لتعاليمه وتتجاهل فرائضـه أو تجهلها كل الجهل، وذلك عن طريق إضعاف وازع التقوى وإشاعة ضروب الشهوات وسبيلها لتحقيق ذلك هو: عزل الدين عن تراثه، وفصـله عن تقاليد المجتمع وعن آفاق الحياة الاجتماعية، وإقامة الحُجُبَ الكثيفة بين أمسه ويومه وبين يومه وغده وتقطيع كل وشيجة تربط بين الأولين والآخرين من أبنائه، واعتبار الرجوع إلى اجتهادات الأوّلين نوع من الجمود على القديم، ومن التخلُّف عن روح العصر وعن حضارته، ومن التعصب للموروثات التي عفى عليها الزمان.

ويرى الباحث: أنَّ الدعوة إلى تحنيط التراث وإهالة التراب عليه تحت مزاعم أن الرجوع إليه نوع من الجمود على القديم والعداء للتطور والحداثة إنما هي خطة ممنهجة من خصـوم يدركون أن إضـاعة الثقافة العربية الإسـلامية وإماتة آدابها وإفناء وجودها، وتكوين أخلاق متنكرين لتراثهم وتاريخهم وفقهائهم وأئمتهم، إنما هي الخطوة الأخيرة نحو إضـاعة الإسـلام نفسـه، وتضـييع كتابه وهدم سُـنَّة نبيه، وإلحاق أمته كلها بمن باد واختفى من الأقدمين الهالكين.

المبحث الثالث:
الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية

تمهيد:

نقصد بالذاتية الإسلامية مجموعة الآداب والقيم والمُثل والثوابت التي تبين حقيقة الإسلام وتحدد خاصّته، وتوضِّح للمسلمين حجم ما يمتلكونه من آداب وأخلاقيات قادرة على الإصلاح فيما بينهم ونشر الصفاء بين صفوفهم وتجمعاتهم.

وإذا كان أخطر ما يداهم الأمة الإسلامية اليوم هو ما تهدف إليه العولمة الثقافية من تغيير لنمط سلوك المسلمين ليكون وفق النموذج الأورو أمريكي، من أجل أن يفقد المسلمون رشدهم الأخلاقي ويتحولون إلى أجيال بشرية مأزومة أو مهزومة يقتاتون سلوكهم من الآخرين، فإن هذا المبحث سوف يعنى بتناول أساليب وآليات الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية في مواجهة محاولات تغريب الأمة الإسلامية وهي في مرحلة انبعاثها من جديد لبناء نهضتها وحضارتها، واستعادة مكانتها بين الأمم المتمدينة، وسوف يتم تحقيق ذلك من خلال ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:
نبذ[1] الغزو السلوكي[2] الغربي

توطئة:

لما كان السلوك يعني سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه وشكل وأسلوب حياته في تعامله مع دولته ومع أفراد مجتمعه، والذي ينعكس عليه بدرجات متفاوتة من التقدير والاحترام والقبول الاجتماعي أو من التحقير والرفض الاجتماعي بحسب ما يوصف به بين الناس من حُسن أو من سوء السلوك.

فإن الإسلام وهو في سبيل التنشئة الاجتماعية المثلى للمسلم، حرص على تعليمه المعايير السلوكية الرشيدة، بما جاء به من تعاليم دينية وأخلاقية وما شرعه من ضوابط اجتماعية، بحيث أصبح المسلم في علاقاته الاجتماعية مضبوطًا بهذه التعاليم والضوابط السلوكية.

تحديات العولمة الثقافية:

بيد أننا في عصرنا الحاضر قد فوجئنا بتحديات جسام فرضتها علينا العولمة الثقافية والتي تعتمد في تيارها الجارف على ثورة المعلومات ونقلها إلى كل أنحاء العالم عن طريق شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وتسعى إلى اختراق الخارج للداخل؛ أي أنها باب واسع من أبواب الغزو الثقافي الأجنبي، كما تسعى إلى دفع العالم نحو النموذج الغربي من السلوك واقتلاع الجذور الثقافية والفكرية للحضارات الأخرى، وهو ما يفرض علينا كمسلمين الدفاع عن ذاتيتنا ووجودنا وكياننا، وتقاليدنا إذا كنا نريد الحفاظ على ما لدينا من حضارة وثقافة.

والسؤال الملحّ الآن هو: كيف وما هي وسائلنا الدفاعية المطلوبة؟، ويأتي هذا المطلب لكي يجيب عن هذا السؤال المهم.

---

(١) نَبَذَ الشيء: طرحه وفارقه عن كراهية وبُغض.

(٢) السلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك أو سيّء السلوك.

الأسس الرئيسة لفكر العولمة:

إذا كانت العولمة قد ظهرت في بادئ أمرها كفكرة اقتصادية، إلَّا أنها قد شقت طريقها عن طريق الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكات التواصل الاجتماعي وشبكة المعلومات الدولية، إلى عوالم السياسة والاجتماع والتعليم والثقافة والعلاقات الدولية، وأصبح تأثيرها بارزًا في ميادين العقائد والأديان والقيم والثوابت والتراث الاجتماعي في مُختلف المجتمعات الإنسانية؛ حيث تستهدف توحيد العقائد والأديان والقيم والعادات والمفاهيم الثقافية، وتذويبها جميعًا في بوتقة واحدة هي بوتقة النموذج الثقافي الأور أمريكي، وذلك كله بهدف تذويب الهويات العقدية والقومية والثقافية للأمم والحضارات الأخرى.

وباختصار شديد: فإن العولمة في المجال الثقافي منها تعني طغيان الثقافة الأورو أمريكية على الثقافات الأخرى وابتلاعها والقضاء عليها والحلول محلها، ولو بطريق القهر الفكري المستند إلى قوة السلاح والمال والاقتصاد(١).

رؤية الباحث لفكر العولمة:

يرى الباحث أن فكر العولمة ليس مجرد غزو ثقافي خارجي للمجتمعات الإسلامية على غرار الغزو الثقافي القديم الذي صاحَبَ الاستعمار الأوروبي للأقطار الإسلامية، وإنما هي غزو سلوكي متطور تستهدف اختراق التعاليم الدينية الإسلامية، والمعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية والأحكام القانونية، والأعراف والعادات والتقاليد، بل واختراق التطبيع الاجتماعي بين الفرد المسلم والمجتمع الذي يعيش فيه، وذلك بما يؤدي إلى خلخلة وزعزعة الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المجتمعات الإسلامية، وإن طريق الخلاص من هذه الآثار ومن وجهة نظر الباحث يتمثل في:

---

(١) راجع في هذا المعنى: أ.د/ جعفر عبد السلام في بحث مهم له بعنوان: رؤية رابطة الجامعات الإسلامية للعولمة، منشور بالكتاب العاشر من سلسلة فكر المواجهة، بعنوان: الإسلام والعولمة.

١- محافظة المسلمين واحتفاظهم بذاتيتهم وهويتهم ومنظومة السمات المشكّلة لشخصيتهم الدولية وخصائصهم العقدية والاجتماعية والثقافية.

٢- نبذ الغزو السلوكي الأورو أمريكي لديار المسلمين، لتصادمه مع منظومة الآداب والأخلاق الإسلامية والقيم الاجتماعية الراسخة في ضمير الأمة.

٣- إحياء التراث الإسلامي في جميع فنونه وعلومه وتقديمه لمسلمي العصر باللغة والأسلوب المفهوم والمقبول لديهم.

٤- تجديد الخطاب الديني بنشر قيم التسامح والتعاون والحُبّ والإخاء والتكافل والتعايش واحترام الآخر وقبوله، ونبذ رذائل التعصُّب والتشدد والغلوّ والتطرف وسفك الدماء وانتهاك الحرمات وأكل مال الغير بالباطل.

٥- تجلية دور الرواد المسلمين الأوائل من أمثال الأئمة أبي حنيفة ومالك والليث والشافعي وابن حنبل والأوزاعي والنخعي وأبو يوسف والشيباني ويحيى ابن آدم وابن خلدون والأصبهاني والماوردي وابن تيمية وابن القيِّم والغزالي والمقريزي، وغيرهم من آلاف الرواد في مختلف العلوم والفنون والآداب.

٦- دعم دور الأسرة والمدرسة في تعليم الناشئة للمعايير السلوكية الفاضلة والآداب الاجتماعية المرعية التي تجعل النشء أفرادًا صالحين للعيش في المجتمع المسلم مقبولين من جميع فئاته وأفراده، متوافقين مع مؤسساته مجتنبين لرفقاء السوء منضبطين في سلوكهم، خاضعين لمعايير المجتمع وعاداته وتقاليده.

المطلب الثاني:
تنمية الحصانة[1] الفكرية والرشد[2] الأخلاقي

توطئة:

نعني بالحصانة الفكرية والرُّشد الأخلاقي، أن يكون للمسلم سلطة ضابطة نابعة من داخله مرشدة له موجهة لسلوكه ضابطة لتصرفاته، تحجزه عن مواضع الزلل والخطل والخطأ، بحيث يستقيم على طريق الله المستقيم لا يحيد عنه، وبحيث يكون ناضج السلوك، مسئولًا على تصرفاته وأفعاله وأقواله.

دور الحصانة الفكرية والرشد الأخلاقي في تحقيق الأمن النفسي للفرد:

لا شك أن الحرية المنفلتة التي تدفع صاحبها إلى عدم قبول الآخر والعدوان عليه سواء كان هذا الآخر من أفراد أسرته أو من خارج أسرته، إنما تستمد مضمونها من الفراغ الفكري والانحطاط الأخلاقي لدى صاحبها، وإنما تمتد جذورها إلى نموّ الفرد في بيئة مفتقدة للسلطة الضابطة المرشدة المراقبة لتصرفاته، المحددة لحدود أقواله وأفعاله وتصرفاته، وذلك على نحو ما ورد في الحديث النبوي الذي رواه عمر بن أبي سلمة قال: «كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله: يا غلام سمَّ الله، وكُل بيمينك، وُكل مما يليك، فمازالت تلك طعمتي بعد»[3].

والفرد الذي ينشأ في فراغ فكري وانحطاط أخلاقي، تراه على سبيل الدوام في قلق واضطراب نفسي، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢].

---

(١) الحصانة: المَنَعة والصون، والحصن: الموضع المنيع.

(٢) رَشَدَ رُشْدًا: اهتدى فهو راشد، والراشد: المستقيم على طريق لا يحيد عنه، والرُّشد هو: بلوغ الصبي سن التكليف صالحًا في دينه مصلحًا لماله.

(٣) فتح الباري لابن حجر، مطابع مصطفى الحلبي بالقاهرة، ١٩٥٩م، ج١١، ص٤٥٠، كتاب الأطعمة.

وإذا كانت الحصانة الفكرية والرُّشد الأخلاقي من لوازم تحقيق الأمن النفسي للفرد، فإنهما لازمان كذلك لبناء الوعي الديني الصحيح الذي يؤكِّد لديه أن الإسلام دين التوازن والحرية والتعددية الفكرية والدينية، والتسامح والرحمة والتكافل، وتحقيق وحفظ كرامة الإنسان، وكُلّ ذلك من لوازم ومتطلبات الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية فضلًا عن كونه من آليات ووسائل التطوير المنشود والانطلاق بالأمة الإسلامية نحو غد أفضل.

كيف نحقق للنشء المسلم الحصانة الفكرية والرشد الأخلاقي؟

إن مزالق[1] الأخلاق التي تحيط بالشباب المسلم اليوم كثيرة ومتعددة ووافدة عليهم من جميع الاتجاهات ومن كل حدب[2] وصوب[3]، ولكي نقوّي الفكر الرصين والخُلُق القويم لدى الناشئة فلا بُدّ وأن نُقصي عن طريقهم صنوف المغريات التي تتناوشهم وتعرضهم بين الحين والآخر للسقوط، وبخاصة فنون العبث والسفاهة وبرامج إغراق الأذهان بالهراء وصرفها عن الفضيلة.

(١) زَلِقت القدم زَلْقًا: زلَّت ولم تثبُت، والمزالق: المواضع التي لا تثبت عليها الأقدام لملاستها.

(٢) الحَدَب: ما ارتفع وغلظ من الأرض.

(٣) الصوب: الجهة.

المطلب الثالث:
إحياء قيمة العلم

توطئة:

لعلّ من أهم أساليب الاحتفاظ بالهوية والذاتية الإسلامية أن يعمل المسلمون فرادى وجماعات ودول ومؤسسات على إحياء قيمة العلم، على اعتبار أن الإسلام هو دين (اقرأ) وأن القراءة هي مفتاح العلم، وعلى اعتبار أن العلم في نظر الإسلام ليس مجرد قيمة كبرى فقط، وليس مجرد حق من حقوق الإنسان، وإنما هو فرض ديني وتكليف شرعي واجب يأثم المسلم إن فرَّط فيه أو لم يأخذ بحظ وافر منه. وسوف نرى في هذا المطلب كيف أن إحياء قيم العِلْم آليَّة من آليات احتفاظ المسلمين بذاتيتهم وهويتهم، وكيف أن إحياء قيمة العلم يُعد أساسًا أصليًا من أسس التقدُّم والانطلاق بالعالم الإسلامي إلى التحضُّر والرُّقي والازدهار.

أهمية التنمية العلمية في ظل المتغيرات الدولية المتسارعة:

لقد أصبح العنصر الحاكم في تطور وتحضُّر ورُقيّ الأمم في عصرنا هو تقدمها في مجالات العلوم والتقنية، فإن العصر الذي نعيش فيه عصر لا قوة فيه ولا اقتدار ولا تنافس ولا مشاركة عالمية، ولا مكان ولا مكانة ولا منزلة فيه لأحد إلَّا من خلال الإبداع العلمي، وليس هناك من سبيل إلى الإبداع إلَّا سبيل التعليم المجوّد والبحث العلمي المنتهي إلى ثورة الابتكار والاختراع، ألا إن طريق التقدُّم والازدهار للأمة الإسلامية يكمن فيما يقدمه علماؤها ومثقفوها ومخترعوها من إنجازات بحثية تقنية تكون الركيزة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة.

أسباب التخلف الحضاري للأمة الإسلامية في عصرها الحالي:

إن التخلف الحضاري للأمة الإسلامية في عصرها الحالي أمر لا ريب فيه، ومظاهر العمران والبناء التي توجد هنا أو هناك من أرض الإسلام ليست إفرازًا للكيان الخاص للأمة ولا أثر لنشاطها الأصيل.

وإن التقدُّم والتأخُّر ليسا حظوظًا عمياء، وإنما هما نتائج لمقدمات سابقة عليهما، وأمراض لجراثيم سكنت في جسد الأمة وألحقت به ما شاءت من العطب والسقم، وما ذلك إلَّا لأن المسلمين تخلّوا طائعين عن أهم سبب من أسباب التمكين في الأرض وهو العِلْم.

موقف القرآن من الجهل والجاهلين:

لقد رتَّب القرآن الكريم على الجهل آثارًا جمّة ونتائج كثيرة منها:

١- استحالة المقارنة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

٢- اختصاص العلماء بمزايا وأفضال لا تُنسب لغيرهم منها:

أ- تبيين حدود الله لهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

ب- تفصيل آيات الله الكونية لهم، قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

جـ- دعمهم بمدد الله في طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

د- إدراك وتفهُّم الأمثال التي يضربها الله لعباده للعظة والاعتبار، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فتنة الإفتاء في الناس بغير علم:

من المعلوم أن الإفتاء في الدين من أخطر مسائل الدين حساسية، وأن الراسخين في العلم لا يتصدون لها إلَّا اضطرارًا، وعندما يتصدّون لها فإنهم يتحرون الدقة في عباراتهم ويتثبتون من آرائهم قبل القول فيها.

وقد أصبحت الفتوى في زماننا من أشد المشكلات تعقيدًا نظرًا لتشعُّب المسائل الخلافية الشائكة في جميع مناحي الحياة.

لكننا وبكل أسف نسمع ونشاهد من لا يحسن قراءة آية واحدة من القرآن الكريم ناهيك عن فهمها أو تأويلها على وجهها الصحيح، من لا يعرف عن الدين أكثر من أركان الوضوء ونواقضه، من لم يقرأ في الدين إلَّا بضع كتيبات أقرب ما تكون إلى روايات وحكايات الأطفال، قد أصبحوا يتصدّون وبكل جرأة للفتوى، حتى في المسائل الجدلية التي يعجز عنها ويهرب منها كبار العلماء وكأن الفتوى عندهم وجاهة شخصية أو ترفًا عقليًا يأخذ مجراه بين المتعطّلين والمتبطّلين، وجمهور المسلمين يلقى الكثير من العناء لشيوع هذا الوباء.

ويرى الباحث أنه من الخير لأصحاب حُبّ الظهور على شاشات الفضائيات من الإعلاميين الجدد، ومن المتحدثين الرسميين باسم الإسلام، ومن المدّعين للعِلم والفقه بالدين، أن يفيضوا القول في أمور الأخلاق، ومناهج الآداب العامة التي لا تخلّف من ورائها عوائق الفتنة والاضطراب والضلال.

رقيّ الأمة في الأخذ بالعلم النافع لا بتحريف الكَلِم عن مواضعه:

يوجد في زماننا صِنف من الدعاة الجدد أوتوا لُسُنًا ورُزقوا جدلًا، وواتتهم فرصة الظهور على شاشات الفضائيات فأسهبوا في الكلام، وازدهاهم إطراء الناس فأطالوا في الجدال، وأصاب الإسلام من ثرثرتهم شر مستطير.

ألا إن رقيّ الأمة وتحضرها يكمن في أخذ أبنائها بالعلم النافع لا بتحريف الكَلِم عن مواضعه يكمن في انعطاف المسلمين إلى القرآن وتعاليمه وأحكامه وترابطهم باسمه ومصارحتهم لأنفسهم بأن هذه الحقيقة وحدها هي طريق تحولهم من التخلُّف إلى النهضة والتقدُّم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محتويـــات الدراســة

الموضـــوع	الصفحة
تمهيد: سنة الله في بناء، وفي زوال الحضارات	٢
مقدمة: في حركة الحياة في المجتمع الإسلامي عبر العصور	٢
- تطور منظومة حركة الحياة في المجتمع الإســلامي بعد عصــر الخلافة الراشدة	٤
• المخطط العام للدراسة	٨
• الفصل الأول: دراسة في واقع العالم الإسلامي	١٠
• المبحث الأول: حركة الحياة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة	١٠
▪ المطلب الأول: الدين والتديّن في المجتمعات الإسلامية المعاصرة	١٠
- تعريف الدين في اصطلاح الفقهاء	١٠
- إطلاقات الدين	١١
- التديّن المريض في المجتمعات الإسلامية المعاصرة	١١
- الإلحاد البغيض في المجتمعات الإسلامية المعاصرة	١٢
- احتواء الإسلام على كل مراتب الكمال والرقيّ الإنساني	١٣
▪ المطلب الثاني: اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة	١٥
- اللغة العربية لسان الأمة ومستودع ثمار عواطفها	١٥
- جوانب الانتقاص من اللغة العربية	١٧
▪ المطلب الثالث: التنوير الزائف (المفهوم والجوانب)	١٩
- نتائج تحدّي التنوير الزائف	٢٠
• المبحث الثاني: ركائز التغيير من واقع العالم الإسلامي	٢٢
▪ المطلب الأول: التجارب مع المتغيرات الدولية	٢٤
- متطلبات التجاوب مع المتغيرات الدولية المحيطة	٢٥
▪ المطلب الثاني: التنمية البشرية والتكنولوجية	٢٦
- تعريف التنمية البشرية	٢٦
- متطلبات تحقيق التنمية البشرية	٢٧

الموضـــوع	الصفحة
▪ المطلب الثالث: الانضباط السلوكي والأخلاقي	٢٩
- مفهوم ومستويات الانضباط السلوكي والأخلاقي	٢٩
- النتائج السلبية للفساد الإداري والتنظيم البيروقراطي	٣١
• الفصـــل الثاني: العوائق الذاتية والخارجية أمام تطور العالم الإسلامي وسُبُل الخلاص منه	٣٣
• المبحث الأول: العوائق الذاتية وسُبُل الخلاص منها	٣٤
▪ المطلب الأول: التنشئة الاجتماعية الخاطئة للشباب	٣٥
- تعريف التنشئة الاجتماعية	٣٥
- منهج الله عز وجل في التنشئة الاجتماعية للشباب	٣٦
- المطلب الثاني: ضعف الاستثمار في البشر (الجوانب وسُبُل الخلاص)	٣٨
- المطلب الثالث: التعصّب والتطرف والانغلاق الفكري والثقافي والسلوكي	٤٠
- مدى تعارض التعصب والانغلاق الفكري مع وسطية الإسلام	٤٠
- النتائج المرئية والمتوقعة للانغلاق الفكري	٤١
- دور القوى الخارجية في إزكاء فكر التعصب بين شباب المسلمين	٤١
• المبحث الثاني: العوائق الخارجية وسُبُل الخلاص منها	٤٣
▪ المطلب الأول: الغزو الثقافي الأجنبي (المفهوم)	٤٤
- مراحل العلاقات الثقافية بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي	٤٤
- تأثيرات الغزو الثقافي على جوانب الحياة في العالم الإسلامي	٤٦
▪ المطلب الثاني: مخططات الهيمنة الخارجية وازدواجية المعايير الدولية	٤٨
- المعالم الرئيسية للواقع المعاصر في العالم الإسلامي	٤٨
• الفصل الثالث: وسائل التغيير والانطلاق إلى عالم إسلامي متحضّر	٥١
• المبحث الأول: تجديد الفكر الإسلامي	٥٢
▪ المطلب الأول: مخاطر الجمود الفكري والتقليد غير المستنير	٥٣
- من آيات القرآن الكريم الموجبة لإعمال العقل والفكر ونبذ الخرافات.	٥٣

الموضـــوع	الصفحة
▪ المطلب الثاني: ثوابت الهوية الإسلامية	٥٧
- الحفاظ على الهوية كشرط جوهري للتجديد والتطوير	٥٧
▪ المطلب الثالث: أساليب ومجالات تجديد الفكر	٦٠
● المبحث الثالث: الوفاء للدين والتراث واللغة والهويّة	٦٢
▪ المطلب الأول: مستقبل المسلمين رهن بالوفاء لدينهم	٦٣
- الإسلام غريب القانون الدولي	٦٣
▪ المطلب الثاني: أثر تراث الأمة في بعث نهضـتها وتشـكيل عقلية المسلمين	٦٥
- أثر القرآن في حفظ تراث الأمة	٦٥
- فساد الأمم كما يصوره القرآن الكريم	٦٦
▪ المطلب الثالث: التطور الإسلامي بين التراث والحداثة	٦٨
- لماذا تموت الأمم وتنهار الحضارات	٦٩
● المبحث الثالث: الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية	٧١
▪ المطلب الأول: نبذ الغزو السلوكي الغربي	٧٢
- تحديات العولمة الثقافية	٧٢
- الأسس الرئيسية لفكر العولمة	٧٣
- رؤية الباحث لفكر العولمة	٧٣
▪ المطلب الثاني: تنمية الحصانة الفكرية والرّشد الأخلاقي	٧٥
- دور الحصانة الفكرية والرشد الأخلاقي في تحقيق الأمن النفسي للفرد	٧٥
▪ المطلب الثالث: إحياء قيمة العلم	٧٧
- أهمية التنمية العلمية في ظل المتغيرات الدولية المتسارعة	٧٧
- أسباب التخلف الحضاري للمسلمين في العصر الحضاري	٧٧
- موقف القرآن الكريم من الجهل والجاهلين	٧٨
- فتنة الإفتاء في الناس بغير علم	٧٨
- رقيّ الأمة في الأخذ بالعلم النافع	٧٩